الجمعية المصرية للدراسات التاريخية



الدكتور
السيد مصطفى سالم
كلية الآداب — جامعة عين شمس

الناشر
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
١٩٧١


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

المطبعة العالمية ١٦، ١٧ ش ضريح سعد بالقاهرة

الإهداء

إلى الشعب اليمني . . .

مع أخلص تمنياتي له بالنهوض والتقدم في مرحلته الحاضرة من تاريخنا العربي المعاصر .

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

أحمد عزت عبد الكريم
رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

صلة الصديق مؤلف هذه الرسالة « الدكتور السيد مصطفى سالم » بتاريخ اليمن ومؤرخيه صلة قديمة ترجع إلى أكثر من عشر سنوات ، منذ بدأ يعد رسالته الأولى لنيل درجة الماجستير فى التاريخ العربى الحديث من معهد الدراسات العربية العالية ، فألف حينذاك رسالة فى « تكوين اليمن الحديث » ، أو فى عصر الإمام يحيي حميد الدين بالذات ، ثم ثنى برسالة الدكتوراه من جامعة عين شمس برسالته الثانية فى « الفتح العثمانى الأول لليمن » ، وقد قام المعهد بطبعهما على نفقته خدمة للدراسات العربية الحديثة ، وكان لى حظ تقديم الرسالتين إلى جمهور القارئين .

واليوم يسرنى أن أقدم لهم أيضاً رسالته الثالثة عن «المؤرخين اليمنيين» ، فى العهد العثمانى الأول ، وتقوم الجمعية المصرية للدراسات التاريخية على طبعها ونشرها .

وهكذا أتيح لى أن أصحب الصديق السيد سالم فى رحلته الطويلة مع اليمن وتاريخه ، وأتيح لى فى هذه الصحبة أن أشهد حماسة الصديق لهذا التاريخ واحتفاله به ، وتوفره على تقصى حقائقه ، والتثبت من مصادره ، وجلاء غوامضه ، وإظهاره فى ثوب قشيب . ولم تقتصر حماسة الصديق على البحث (النظرى) أو (الرحلة) فى أعماق الزمن ، ولكنه أضاف إليها (الرحلة) يشدها إلى ذلك القطر الشقيق — أو إلى شطره الجنوبى بالتحديد ، ليزور معالمه وينقب عن مخلفات تاريخه من مطبوع أو مخطوط ، وليتنشق —

فوق هذا — (عبير) التاريخ اليمنى ، فوق الأرض التى تحرك عليها هذا التاريخ وجرت أحداثه .

ليس غريباً — بعد هذا كله — أن نعد الدكتور السيد مصطفى سالم أحد خبرائنا القلائل المتخصصين فى تاريخ اليمن الحديث ، الواقفين على تياراته ، العارفين أسراره .

وكتاب اليوم ، أو هذه الرسالة الموجزة ، فيما أسماه مؤلفها « مدرسة التاريخ اليمنى فى العصر العثمانى الأول » ، ثمرة هذه الجهود التى بذلها مؤلفها منذ بدأ يتصل بهؤلاء المؤرخين اليمنيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، يتقصى أخبارهم ، ويتتبع آثارهم ، وينقد رواياتهم ، ليقيم منها بناء التاريخ اليمنى فى تلك العصور .

ولقد أشرت عليه منذ عرفت هذه الجهود وتتبعت مراحلها ـ أن يجمع ثبتاً بأولئك المؤرخين ، فيعدد مؤلفاتهم ، ويشرح مناهجهم وأسلوبهم فى الكتابة التاريخية ويبين العوامل والمؤثرات المختلفة التى أثرت فى اتجاهاتهم ونفذ الدكتور سالم ما طلبته ، وكانت ثمرة ذلك الحوار هذه الرسالة التى أتشرف اليوم بتقديمها إلى جمهور القارئين .

وقد يشعر القارىء أحياناً أمام بعض المؤرخين أو كتاب السير أو الطبقات الذين أورد المؤرخ أسماءهم ، وموضوعات كتبهم ، قد يشعر القارىء برغبة ملحة فى المزيد من المعلومات والبيانات ، ويتمنى على المؤلف لو لم يقنع — أحياناً — بالإطار (الخارجى) للمؤرخ وكتابه ، بل يتعداه إلى الوصف (الداخلى) مع مزيد من الأمثلة والشواهد ، ذلك لأن كثرة من جمهرة القارئين لن يتاح لهم أن يطلعوا على هذه المؤلفات وبالتالى لن يسبروا غورها ، أو يقفوا على أبعادها أو يتعمقوا أفكارها واتجاهاتها .
على أن القارىء لكتاب الدكتور السيد سالم ، وخاصة القارىء الذى طالما

قرأ عن ركود الحركة الفكرية فى البلاد العربية تحت حكم العثمانيين وإقفارها من الكتاب والمؤرخين . إن هذا القارىء قمين بأن يعاود النظر فى هذه الأقوال التى طالما استمع إليها ، ويأخذه قدر كبير من الشك فى صحتها ، فهذا هو اليمن ، فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، حافل بهذه الطائفة الكبيرة من كتاب السير والمؤرخين ، وقد كتبوا فى التاريخ والطبقات ، وفى غير التاريخ والطبقات من ضروب المعرفة الإسلامية فى ذلك الوقت.

حقاً لقد كان لليمن حينذاك ظروفه الخاصة التى عاونت على خلق «مدرسة» يمنية فى التاريخ ، إذ كان التاريخ – ولا يزال – أحد الأسلحة الهامة فى الصراع الفكرى والسياسى ، وقد أجاد المؤلف فى وصف تلك الظروف وتقصى آثارها ، ولكن يبقى – على أى حال – أن يعيد الباحثون النظر فيما يطلقونه على العصر العثمانى من ركود وجمود وإجداب فكرى ، ولعل المزيد من البحوث فى تاريخ ومؤرخى البلاد العربية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر – على غرار ما فعله السيد سالم فى اليمن – لعل مزيداً من هذه البحوث كفيلة بأن تلقى أضواء جديدة على تاريخ الأمة العربية فى تلك العصور ، ويكون للدكتور السيد سالم فضل السبق فى هذا المضمار .

أما (اليمن) فأنا أعلم أنه بتاريخه ومؤرخيه لا يزال يشد الصديق الكريم ، وأنا أعلم أن جهوداً كبيرة فى انتظاره ، ويكفى أن نعلم أن المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية قد عهد إليه بتحقيق أعظم مؤلف فى تاريخ اليمن فى القرن السادس عشر وهو كتاب «البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» لمؤلفه قطب الدين المكى النهروالى ، وهو عمل على ضخم لا يقوى عليه إلا من قرأ تاريخ اليمن وعرف مصادره معرفة الخبير الناقد.

وإنا لمنتظرون ، وعلى الله قصد السبيل ؟

أحمد عزت عبد الكريم

منشية البكرى – القاهرة

١٤/٣/١٩٧١

مقدمة

ما زالت مسألة « إحياء التراث العربى » تحتاج إلى المزيد من المناقشة والجهد لما لها من أهمية بالغة فى المرحلة الحاضرة من تاريخنا العربى المعاصر . وقد ثار من قبل العديد من التساؤلات حول هذا الموضوع الهام: منها ما هو خاص بتعريف التراث ذاته ؟ وهل تقوم حركة الإحياء على طبع ونشر كل ما كتب فى الماضى ؟ أم تقوم على أساس إنتقائى لاختيار ما يصلح للنشر فقط ؟ وهل ينشر ما يتم اختياره كما هو ؟ أم لا بد من بذل جهد علمى حقيقى حتى يخرج هذا التراث إلى النور فى أفضل صوره ؟ وإلى جانب هذا فمن سيقوم بهذا الاختيار وهذا النشر ؟ هل تقوم بهما هيئات وجماعات ، أم يتركا للجهود الفردية دون خطة محددة مدروسة ؟ ومن ناحية أخرى : ماهى الجهود التى بذات حتى الآن ؟ وما نوعها ؟ وهل بدأت هذه الجهود ترسم لنفسها خطاً محدداً ومعالم واضحة لخدمة غرض جلى ؟ أم أنها جميعاً — الجماعية والفردية — ما زالت تتحسس الطريق ، وتسير بخطوات عشوائية ؟

مثل هذه التساؤلات وغيرها أثيرت فى مصر ـ وسائر البلاد العربية ـ على مختلف المستويات ، أثيرت على صفحات الجرائد والمجلات ، ونوقشت فى داخل الجامعات والهيئات العلمية ، وعرفت طريقها إلى الوزارات وتشكلت لها اللجان .

وفى نفس الوقت برزت جهود جماعية وفردية ، وتوفر إنتاجها بين أيدى القراء وعلى رفوف المكتبات العربية الحديثة . فهناك دار الكتب التى تقوم بنصيبها فى إحياء التراث ، وهناك بعض الجهود الفردية التى تمثلت فى نشر بعض المخطوطات — فى مختلف فروع المعرفة — على يد بعض

أساتذة الجامعات أو بعض المهتمين بأعمال السابقين . وبالإضافة إلى ذلك ، فهناك بعض الخطوات الضرورية — الجماعية والفردية أيضاً — التى كان لا بد من اتخاذها باعتبارها خطوة مكملة لحركة إحياء التراث ، وهى قيام المكتبات العامة بوضع فهارس خاصة بالمخطوطات التى تضمها مع تعريفات موجزة بها ، أو قيام البعض بوضع مؤلفات خاصة للتعريف بالتراث فى فترة معينة ، أو تقديم تراجم لعدد من أبناء هذا التراث مع التحدث عن عصرهم وعن قوائم إنتاجهم . إذ لا شك أن خطوات التعريف بالتراث هذه ، سواء عن طريق قوائم المكتبات العامة أو عن طريق الدراسات والأبحاث ، أمور ضرورية يجب أن تسبق نشر التراث ذاته أو أن تصاحبه على الأقل حتى تضيء الطريق باستمرار أمام العاملين فى حقل « إحياء التراث » .

غير أن هذه الجهود جميعها ما زالت غير كافية نظراً لضخامة التراث العربى وتشعبه ، فهى لا تسير بخطوات ثابتة فى طريق مرسوم ، رغم أن إنتاج هذه الجهود قد أصبح يمثل تراكماً عددياً — على الأقل — لا بأس به ، ورغم قيام بعض العواصم العربية بجهود مشابهة ، وإن كانت أقل حجما . وأقصى ما يمكن أن توصف به الجهود التى بذلت حتى الآن - هنا وهناك - هى أنها معالم على طريق إحياء التراث العربى ، دون أن تمثل طريقاً واضحاً بذاته . فالطريق — أى طريق — لا بد له من مواصفات خاصة به ، وطريق إحياء التراث هو أشد الطرق حاجة إلى هذه المواصفات ، إلى النظرة الشاملة للتراث ، وإلى دقة الاختيار منه ، وإلى الجهد العلمى المخلص له . إذ لا بد أن توضع خطة عامة ذات نظرة شمولية لهذا التراث وبجوانبه المختلفة - على يد بعض المختصين — ثم توضع أسس واعية — بناء على دراسات طويلة متخصصة - يختار على أساسها ما يستحق النشر ، وللتفريق بين الغث والثمين حتى لا تبذل طاقة وأموال فى غير موضعها ، ثم يعهد إلى أشخاص ذوى كفاءات علمية عالية بتحقيق ما استقر عليه

الاختيار تمهيداً لنشره . وهذه الخطوات المتوالية المتكاملة هي الأساس السليم الذي ينبني عليه ظهور حركة إحيائية للتراث واضحة المعالم والسمات ، لاتمثل تأكيداً لذاتنا العربية أو دليلا على أصالة حضارتنا فحسب ، بل هي تمثل أيضاً أساساً لربط حاضر الأمة العربية بماضيها . ومما هو جدير بالذكر . أن لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية قد اتخذت منذ عدة سنوات خطوة تخطيطية مشابهة فى مجال التاريخ ، اتجهت إلى تكليف بعض المختصين ـ من داخل الجامعات وخارجها ـ بتحقيق بعض المخطوطات التاريخية ليقوم المجلس بنشرها ، وكان لى شرف تكليفى بتحقيق إحدى هذه المخطوطات .

أما الدراسة المتواضعة التى أقدمها الآن ، فهى من النوع الذى يسبق ، أو يصاحب ـ كما ذكرنا ـ خطوات إحياء التراث ، إذ تعتبر مرحلة تعريفية ضرورية تلحق بها مراحل متتالية خاصة بالضبط والتحقيق حتى تصل إلى النشر العلمى . وقد ظهرت عدة دراسات سابقة من هذا النوع قدمت عدداً من التراجم لبعض المؤرخين المنتمين إلى فترات تاريخية مختلفة ، وذلك فى داخل إطار الظروف التاريخية التى أحاطت بهم لإبراز العوامل التى أثرت فى إنتاجهم ، مع عرض هذا الإنتاج وتحليله ، وإلقاء نظرة تقييمية عليه . من هذه الدراسات كتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة وهو بعنوان : « المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، التاسع الهجرى » ، وكتاب الدكتور جمال الدين الشيال وهو بعنوان : « التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر » ، وكتاب الدكتور محمد أنيس وهو بعنوان « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » .

وقد ترجمت فى هذه الدراسة لاثنى عشر مؤرخاً يمنياً ظهروا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين (العاشر والحادى عشر الهجريين)

أو بالأحرى لمؤرخى العهد العثمانى الأول فى اليمن (١٥٣٨ — ١٦٣٥ م) ، وذلك مع دراسة تمهيدية صدرت بها البحث لتوضيح الظروف التاريخية التى أحاطت بهؤلاء المؤرخين ، وشكلت كتاباتهم ، وجعلتها تأخذ طابعاً محلياً خاصاً رغم أنها — أى الكتابات — ظلت تنتمى فى نهاية الأمر إلى المدرسة التاريخية الإسلامية العامة . وقد ظهر فى هذه الدراسة نشاط حركة التأليف التاريخى فى اليمن فى تلك الفترة بالنسبة للعالم العربى بما فى ذلك مصر ، كما اتضح مدى هذا النشاط النسبى وأسبابه . كذلك برزت فى خلال الدراسة الصفات الخاصة بكتابات هؤلاء المؤرخين ، مما جعلها ذات ملامح متميزة ، ومما دفع إلى اعتبار هذه المجموعة أبناء مدرسة خاصة ، ذات صفات يمنية ، وطابع إسلامى . وكان من الضرورى تناول الصفات العامة المشتركة لأبناء هذه المجموعة فى ثنايا الدراسة التمهيدية منعاً للتكرار والإطالة أثناء تقديم الترجمات الواحدة بعد الأخرى ، ودارت هذه الصفات حول أسلوب الكتابة ، وموضوعاتها ، واهتمامات المؤرخين ، ومواقفهم الفكرية والسياسية . أما بالنسبة للترجمات ذاتها فقد سارت على النحو التقليدى فى بعض أجزائها ، من ناحية تتبع تاريخ ميلاد ووفاة كل منهم كلما أمكن ذلك ، ومن ناحية النشأة والعلماء الذين أخذوا عنهم ، والوظائف التى تولوها ، والتنقلات التى قاموا بها ، وغير ذلك من التفصيلات الخاصة التى تعطى للشخصية ملامحها الذاتية ، وذلك من خلال ما ذكروه عن أنفسهم بين سطور كتاباتهم ، أو من خلال كتابات معاصريهم ، أو من المصدرين معاً . وتلى هذا تركيز الحديث عن الجوانب الخاصة التى تميز بها كل منهم عن الآخر — من ناحية الأسلوب والاهتمامات والمواقف - من خلال كتاباته بصفة عامة ، وكتاباته التاريخية بصفة خاصة ، حتى تتضح شخصية كل منهم على حدة . هذا فضلا عن وضع قائمة فى نهاية الدراسة بمؤلفات كل منهم التاريخية فى فروع المعرفة المطروقة فى عصرهم .

وإنى لأرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة متواضعة لذلك الجهد

الكبير الذى يبذل — أو الذى يجب أن يبذل — من أجل إحياء التراث العربى بمختلف فروعه ، كما أتمنى أن تتمكن هذه الدراسة من أن تلفت نظر بعض أبناء العروبة بصفة عامة — واليمنيين بصفة خاصة — إلى التراث اليمنى ، حتى تبدأ الخطوات اللازمة لجمعه وحفظه أولا ، ثم العمل على تحقيقه ونشره ثانياً ، أو تؤدى —أى هذه الدراسة — إلى دفع البعض لإكمال النقص بها ، وتوسيع مداها فلا تشمل تراث فترة محدودة ، وإلى دفع البعض الآخر للاهتمام ببعض أبناء هذا التراث فيبرز أعمالهم إلى النور .

وفى النهاية ، فإنى أتقدم بكلمتى شكر :

إلى أستاذى الفاضل الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الذى طلب إلى كتابة هذا البحث ، ولتشجيعه وتوجيهه لى طوال كتابته ، ولما قدمه سيادته لى — ويقدمه — من رعاية ومساندة فى حياتى العلمية والعملية .

وإلى شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الذى شرفتنى حكومته بالدعوة لزيارة جمهوريتهم فى المدة من ٢٥/٤ إلى ١٩/٥/١٩٧٠ على رأس بعثة مصرية لمسح التراث اليمنى وإقامة مكتبة قومية بها .

والله ولى التوفيق ،

دكتور
السيد جمال مصطفى سالم
مدرس التاريخ الحديث
بكلية الآداب بجامعة عين شمس

دراسة تمهيدية :

نشطت حركة التأليف التاريخي فى اليمن خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين (العاشر والحادى عشر الهجريين) ، أى عند بداية العصر الحديث ، نشاطاً ملحوظاً لفت إليه نظر المختصين من العرب والمستشرقين على السواء . فقد كتبت حينذاك عدة مؤلفات تاريخية هامة ، عالجت النواحى المختلفة الخاصة بتلك الفترة ، ورسمت خطوطها السياسية بشكل واضح ، وذلك فى أبعاد متفاوتة ، ومن وجهات نظر مختلفة. ويتضح مدى ازدهار حركة التأريخ فى اليمن فى هذه الفترة إذا قارنا بينها وبين مثيلتها فى مصر فى نفس الفترة ، إذ يتبين لنا من هذه المقارنة أن حركة التأليف التاريخى قد أصيبت بالضعف والخمول فى مصر فلم يظهر فى الفترة التى نعنيها — والتى ستتحدد معالمها فيما بعد — سوى مؤرخين يعتد بهما هما : الإسحاقى وأبى السرور البكرى[1] ، أما فى اليمن فقد ازدادت هذه الحركة نشاطاً وقوة بشكل ملموس يدعو إلى الدهشة والإعجاب ، فظهر العديد من المؤرخين ذوى المؤلفات الهامة والاتجاهات المتنوعة .

غير أن نشاط حركة التأليف التاريخى هذه لم تلق حظها بعد من التعريف والإعلان إذ أن أغلب مؤلفات تلك الفترة ما زالت مخطوطة لم يقدر لها النشر ، كما أنها ما زالت حبيسة المكتبات الخاصة للأئمة والسلاطين والأمراء فى اليمن ، أو أنها ما زالت مبعثرة فى المكتبات العامة فى الدول العربية والغربية ، ويتأكد هذا إذا عرفنا أنه لم ينشر غير كتاب واحد

---

(١) لتوضيح ذلك يرجع إلى كتاب الدكتور محمد أنيس « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » طبعة معهد البحوث والدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٦٣ .

فقط من المؤلفات التاريخية الخاصة بالفترة التى نتحدث عنها ، وهو كتاب تراجم للعيدروس ، بعنوان : « النور السافر من أخبار القرن العاشر »[١] . ورغم هذا ، فهناك محاولات للتعريف بهذه المؤلفات التاريخية ونشرها ، أو بمعنى أدق للتعريف بالتراث الثقافى اليمنى بوجه عام وإن كانت هذه المحاولات ما زالت ضعيفة أولية . وتتمثل هذه المحاولات بشكل أساسى فى ظهور كثير من أسماء المخطوطات اليمنية فى الفهارس التى تقوم المكتبات العربية العامة بإعدادها ، وعلى رأس هذه المكتبات ، دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ثم مكتبة الأزهر ومكتبة جامعة القاهرة . وفى هذا المجال فلا بد من ذكر الجهود الكبيرة التى بذلها المرحوم فؤاد السيد — رئيس قسم المخطوطات بدار الكتب سابقاً — فى إعداد فهرس المخطوطات بدار الكتب ومعهد المخطوطات ، وكذلك قيامه مع بعثات دار الكتب المتعددة إلى اليمن — فى تصوير الكثير من المخطوطات اليمنية وحفظ صورها فى دار الكتب .

ومن ناحية أخرى ، فقد بدأت منذ قليل الخطوة التالية لخطوة إعداد الفهارس وهى نشر بعض المخطوطات اليمنية وتحقيقها ، إذ قام الدكتور سعيد عاشور الأستاذ بقسم التاريخ بآداب القاهرة بنشر وتحقيق مخطوطة يحيى بن الحسين — من مؤرخى القرن السابع عشر — وهى بعنوان « غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى » ، كذلك قام سارجنت R.B. Serjeant[٢] فى ١٩٦٣ بنشر المقتطفات الخاصة بتاريخ البرتغاليين أمام السواحل العربية

---

(١) قامت المكتبة العربية ببغداد بنشره ، وقد طبع بمطبعة الفرات ببغداد فى ١٣٥٣ هـ . ١٩٣٤ م .

(٢) وذلك فى كتابه :
The Portuguese off the South Arabbian Coast, Hadrami Chronicles, Oxford, Clarendon Press, 1963.

الجنوبية . وذلك بعد استخراجها من بعض المخطوطات الحضرمية التى عثر عليها فى قصور السلاطين هناك . ولا شك أن هذه الجهود ما زالت لا تتلاءم مع أهمية التراث اليمنى وضخامته ، ورغم ذلك فيمكن أن نعتبر الجهود التى بذلها المرحوم فؤاد السيد الأساس الضرورى ، والبداية الحتمية . لنشر هذا التراث ، وقيام الدراسات العلمية اللازمة حوله (١) .

ويرجع التأخر فى نشر المؤلفات التاريخية اليمنية التى سنتحدث عنها ، أو حتى عدم نشر أغلب التراث الفكرى اليمنى بوجه عام ، يرجع ذلك إلى التخلف العام - السياسى والإجتماعى - الذى أصاب اليمن فى الأزمنة الحديثة ، وخاصة فى القرن التاسع عشر أى مع بداية انتشار الطباعة فى البلاد العربية ، ومع بداية إهتمام العرب بنشر تراثهم وخاصة فى مصر منذ أيام محمد على حيث قامت مطبعة بولاق الأميرية بنشر أمهات كتب التراث العربى والإسلامى . ففى خلال هذا القرن، كانت دولة الأئمة الزيديين التى قامت على أنقاض العثمانيين عند خروجهم من اليمن فى ١٦٣٥م ، قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف والإنهيار نتيجة تنازع الأئمة على السلطة وقيام الحروب بينهم مما أدى إلى تفتيت اليمن إلى أقسام ضعيفة مبعثرة . فاستقل بعض الأمراء بحكم أقاليمهم ثم احتلت بريطانيا عدن سنة ١٨٦٩ وأخذت تتوسع فيما حولها من أقاليم ، ثم جاء العثمانيون إلى اليمن ثانية واستولوا على صنعاء فى سنة ١٨٧٢ . وعند نهاية الحرب العالمية الأولى ، قامت المملكة المتوكلية اليمنية تحت حكم الإمام يحيى حميد الدين فعمل هذا الإمام ثم ابنه الإمام

---

(١) كذلك أشار سارجنت فى مقدمة كتابه سالف الذكر (pp. 1, 2). بالجهود التى بذلها المرحوم فؤاد السيد فى التعريف بالمخطوطات اليمنية وذلك بعد أن أشار إلى جهوده هو وجهود Mr. O. Schumann الضئيلة فى هذا المضمار فقال .

«.. both no doubt will form a small part of the survey which is being made by Fu'ād Saiyid of the Dār al Kutub in Cairo, with the intention of Compiling a list of all known works on Yemenite history, thereby laying the foundations for an historical structure that will take many years to complete».

أحمد — على تدعيم عزلة اليمن وعلى تخلفه فى نفس الوقت . ومن الطريف أن نذكر هنا ، أنه لم يكن فى اليمن فى عهد يحيى سوى مطبعة واحدة يحتفظ بها الإمام فى قصره الخاص ، وكان لا يستخدمها إلا فى طباعة جريدة « الإيمان» التى تشبه بعض الشىء جريدة « الوقائع الرسمية » فى مصر ، إذ كان لا ينشر بهـا سوى أوامره وتعليماته وأخباره مع بعض التوجيهات الدينية[1] .

ولقد كان التخلف العام الذى أصاب اليمن فى تلك الفترة يعكس آثاره على النواحى العلمية والتعليمية حينذاك ، كما كان التخلف الفكرى والثقافى — الذى أدى إلى عدم الاهتمام بنشر التراث اليمنى — يتناسب مع تخلف مستوى الحياة إلى درجة كبيرة رغم ضخامة إمكانيات اليمن الطبيعية والبشرية . وأخيراً فنحن نأمل أن يتمكن الحكم الجمهورى من إصلاح الأحوال فى اليمن بمـا فى ذلك النواحى الثقافية .

ولنا أن نتساءل الآن : ما هى أسباب نشاط حركة التأليف التاريخى فى اليمن فى العهد العثمانى الأول ، أو بمعنى أوسع فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ؟

والإجابة على هذا السؤال تتركز فى نقطتين : النقطة الأولى خاصة باليمنيين عامة ، والنقطة الثانية خاصة بالظروف التاريخية لتلك الفترة .

فبالنسبة للنقطة الأولى ، فمن المعروف أن اليمنيين أصحاب حضارة متقدمة منذ أقدم العصور كما تشهد بذلك آثارهم الباقية منذ عهد الدولة

---

(١) يرجع إلى كتابنا « تكوين اليمن الحديث ، ١٩٠٤ — ١٩٤٨ » ، طبعة معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، فهو خاص بنشأة المملكة المتوكلية ، وحكم الامام يحيى فى اليمن .

السبئية والدولة الحميرية. وكان موقع اليمن الهام وثروته الطبيعية يساعدان على ازدهار الحضارة به منذ ذلك العهد البعيد : فمن المعروف أن اليمن كان يقع على طريق التجارة العالمية القديم، سواء الطريق البرى، حيث تستخدم القوافل، أو الطريق البحرى لوقوعه عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى. وقد استفاد اليمنيون كثيراً من وراء اشتغالهم بالتجارة، إذ أدى هذا من ناحية إلى ثرائهم المادى، وزيادة دخلهم القومى، ومن ناحية ثانية أدى إلى تقدمهم الحضارى نتيجة احتكاكهم بالحضارات المختلفة، وخاصة لأن اليمن فى العصور القديمة كان يقع بين ثلاث حضارات كبيرة، هى الحضارة الهندية فى حوض نهر السند، والحضارة البابلية، والحضارة المصرية القديمة وكان الاتصال بين مصر وبابل يتم فى الغالب عن طريق اليمن لأن التجار كانوا يفضلون طريق البحر لأنه أكثر أماناً من طريق بادية الشام حيث تكثر هجمات البدو على طرق القوافل[١]. ومن ناحية أخرى، استفاد اليمنيون من وراء ثروة بلادهم الطبيعية، إذ أن اليمن[٢] يتمتع بتربة بركانية خصبة، كما أن ارتفاع الهضبة اليمنية قد أدى إلى اعتدال درجة الحرارة رغم قرب اليمن من خط الاستواء كما أدى إلى سقوط كمية وفيرة من المطر تكفى لرى الأراضى الزراعية، وذلك إلى جانب توفر المياه الجوفية. ولهذا

---

(١) يرجع إلى كتاب الدكتور محمد فخرى « دراسات فى تاريخ الشرق القديم » للتوسع فى دراسة الحضارة اليمنية القديمة وأثر موقع اليمن على ازدهار تلك الحضارة.

(٢) ينقسم اليمن إلى ثلاثة أقسام تضاريسية تمتد من الشمال إلى الجنوب موازية للبحر الأحمر، القسم الأول هى منطقة تهامة؛ وهى منطقة سهلية ساحلية ضيقة تشتد بها الحرار والرطوبة لانخفاضها ولقربها من خط الاستواء، وتجود بها زراعة القطن، والقسم الثانى هى الهضبة، وهى هضبة بركانية كبيرة تتخللها الوديان العريضة، وهى تزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا شمالا حيث تشتد البرودة وتغطى الثلوج بعض قمم الجبال، وعلى الهضبة يعتدل المناخ وتتوفر الأمطار أما المناطق الشمالية منها فجبلية وعرة، والقسم الثالث هى منطقة الجوف وتقل بها الأمطار ومظاهر الحياة كما يقل ارتفاعها كلما اتجهنا شرقاً حتى تنتهى إلى صحراء الربع الخالى.

كله اشتهر اليمنيون ببناء السدود مثل سد مأرب الذى يعتبر أشهر عمل هندسى فى التاريخ القديم ذات فائدة عملية . كذلك اشتهر هؤلاء بزراعة المدرجات الجبلية التى تحتاج إلى درجة كافية من العلم والدراية . وقد أطلق اليونانيون القدامى على اليمن اسم «العربية السعيدة» "Arabia Filex" وذلك لاخضرار أقاليمه بالنسبة للرمال الصفراء الممتدة التى تغطى أنحاء الجزيرة العربية .

وهكذا فيمكن القول بأن الحضارة اليمنية كانت تستند على أساس طبيعى اقتصادى قوى ، وأن هذا الأساس هو الذى أكسب اليمنيين الصفات التى اشتهروا بها . كما أنه هو الذى عمل على استمرار تيار الحضارة فى اليمن طوال تاريخه رغم النكسات وفترات الضعف السياسى التى مر بها ، خاصة التى مر بها مؤخراً سنين طويلة تحت الحكم الأمامى ، فقد اشتهر اليمنيون — وخاصة سكان الهضبة بالنشاط والحيوية والذكاء كذلك بالرغبة فى الهجرة ، والانتقال سعياً وراء الرزق والعلم . وقد ساهم هؤلاء عند ظهور الإسلام مساهمة فعالة مؤثرة فى نشر الإسلام ، وفى تعريب منطقة الشرق الأوسط ، وذلك لاشتراك الأعداد الغفيرة منهم فى الجيوش الإسلامية فى عهد الغزو والفتوحات ، ثم بهجرة قبائلهم الى المناطق المفتوحة واستقرارهم بها . كذلك استفاد اليمنيون من وراء اعتناقهم الإسلام[1] ، إذ تأثروا بالتيارات

---

(١) يرى البعض أن اليمن لم يستفد شيئاً من وراء اعتناق أهله الإسلام ، إذ أن هذا جر إليه الاختلافات المذهبية والمشاكل السياسية التى غمرت العالم الإسلامى منذ القرن الأول الهجرى ، غير أننا نرى عكس ذلك إذ تمتع اليمن بعض الوقت بالأمن والهدوء ، عقب انتشار الإسلام به . ومن ناحية أخرى وجد اليمن متنفساً لفائض سكانه فى إطار الدولة الاسلامية العامة ، سواء عن طريق انضمام اليمنيين إلى الجيوش الاسلامية زمن الفتوحات ، أو عن طريق هجرة القبائل إلى البلاد المفتوحة والتوطن بها . أما انقسام اليمنيين الى شيع وأحزاب فترجع الى عوامل مختلفة منها العوامل الطبيعية — وخاصة التضاريسية — وليس الى انتشار الاسلام بين سكانه . ومعنى هذا انقسامهم الى جبليين وسهليين ، وأن الذين يعملون على إبراز الفروق بين هذين القسمين إنما يبغون تحقيق مصالح سياسية أو مادية من وراء ذلك .

الفكرية والمذهبية التى سادت العالم الإسلامى ، لا لأنهم أصبحوا جزء منه فحسب ، بل لأن بعض الأقليات المذهبية ، وخاصة الشيعية ، كانت قد وجدت فى اليمن ملجأ حصيناً لبعده عن مقر الخلافة . ولوعورة أقاليمه الجبلية . ولقد ترتب على هذا أن ظهر لليمنيين مؤلفات عديدة فى فروع المعرفة المختلفة السائدة فى العصور الوسطى الإسلامية وخاصة الفقه والحديث والتفسير وباقى العلوم الدينية ، وكذلك التاريخ والفلك والحساب وغيرها . مما قدر له فى النهاية ، أن يكون جزءاً هاماً من التراث العربى والإسلامى العام . ولقد ترك هذا التاريخ الحضارى الطويل آثاره على اليمنيين وعلى بعض سلوكهم وتصرفاتهم . ويتضح ذلك فى شغفهم بالعلم مهما كان نوعه أو مصادره ، وذلك حتى فى عهود تخلفهم السياسى والاقتصادى ، فهم — على سبيل المثال — يتغلبون على التناقض البين بين فقرهم المادى وبين رغبتهم الملحة فى اقتناء الكتب بأنهم يقومون بنسخ ما يرغبون فى الاحتفاظ به ، وهذا يفسر ظاهرة اجتماعية مألوفة لدى اليمنيين إلى وقت قريب وخاصة فى المدن ، وهى قيام بعض الأهالى بتعليق محبرة وقلم فى الأحزمة التى يتمنطقون بها ، وذلك مثلما يحرصون على تعليق الخناجر فى هذه الأحزمة كما اشتهر عنهم .

وهكذا يتضح من العرض السابق العامل الذاتى الخاص باليمنيين وهو أنهم قوم ذوو حضارة موغلة فى القدم ، وأن لديهم جميع الأسباب المادية للتقدم والتحضر ، وذلك مما جعلهم يسيرون فى مضمار الحضارة بدرجات متفاوتة تبعاً لازدهار أو انحطاط المراحل السياسية المختلفة .

أما بالنسبة للنقطة الثانية الخاصة بالظروف التاريخية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر التى أدت إلى نشاط حركة التأليف التاريخى فى اليمن فى تلك الفترة ، فهى خاصة بالعامل السياسى ، فقد جد حينذاك عامل جديد

هو دخول العثمانيين إلى اليمن واصطدامهم باليمنيين ، وخاصة بالأئمة الزيديين الذين اشتد ساعدهم فى اليمن منذ أوائل القرن السادس عشر ، والذين تمكنوا بالتالى من قيادة الثورات الوطنية حينذاك ضد العثمانيين ، مما ساعدهم فى النهاية على أن يلعبوا الدور الرئيسى فى تاريخ اليمن منذ ذلك الوقت حتى خروج العثمانيين منه فى سنة ١٦٣٥ ، وحتى قيام الحكم الجمهورى هناك فى سنة ١٩٦٢ .

وترجع جذور هذه الأحداث إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى عندما نجح البرتغاليون فى الوصول إلى الهند بحراً عن طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٨ م مما أدى إلى تحول معظم تجارة الشرق إلى الطريق البحرى الجديد بعيداً عن طريقها التقليدى عبر العالم العربى . وقد أثر هذا التحول فى البناء الاقتصادى للبلدان العربية التى كانت تمر بها هذه التجارة – وخاصة اليمن ومصر – تأثيراً سيئاً ، فعمل هذا بدوره على إنهيار البناء السياسى فى كل منهما ، إذ سقطت الأسرة الطاهرية فى اليمن على يد المماليك أثناء محاولاتهم اتخاذ السواحل اليمنية قاعدة أمامية للدفاع عن حوض البحر الأحمر أمام الخطر البرتغالى ، وأثناء عملهم على وقف تحول التجارة الشرقية إلى الطريق البحرى الجديد ، وخاصة بعد هزيمتهم فى معركة ديو البحرية سنة ١٥٠٩ م . وقد سقطت كذلك دولة المماليك – وهى تشمل حينذاك مصر والشام والحجاز – فى أيدى العثمانيين ، الذين وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام الخطر البرتغالى . وزاد من أعباء العثمانيين فى حوض البحر الأحمر أن وجدوا سيطرتهم تمتد إلى ساحل تهامة اليمن عقب دخولهم مصر مباشرة ، فقد سارعت القوة المملوكية التى كانت فى « زبيد » حينذاك بالاعتراف بالسيادة العثمانية الاسمية عليها . وقد احتدم السباق بين البرتغاليين والعثمانيين منذ ذلك الوقت حول امتلاك المراكز الاستراتيجية فى البحار العربية الجنوبية والمحيط الهندى ، فجهز العثمانيون حملة بحرية

كبيرة فى سنة ١٥٣٨ م ونجحت فى تدعيم سيطرتهم فى حوض البحر الأحمر وخاصة على السواحل اليمنية ، وإن كانت قد فشلت فى تحقيق أغراضهم فى الهند . وهو القضاء على السيطرة البرتغالية هناك . وقد حققت هذه الحملة السيطرة الفعلية للعثمانيين على السواحل اليمنية ، إذ استولت على عدن من أيدى بقايا الأسرة الطاهرية أثناء ذهابها إلى الهند ، ثم استولت على «زبيد» وغيرها من أقاليم تهامة اليمن من أيدى بقايا المماليك بعد عودتها من الهند . وكانت الإمامة الزيدية تحت زعامة الإمام شرف الدين يحيى قد استطاعت أن تمد سيطرتها على جميع أقاليم اليمن الداخلية أثناء فترة الفراغ التى تلت سقوط السلطان الطاهرى فى سنة ١٥١٧ م حتى وصول العثمانيين الفعلى إلى اليمن سنة ١٥٣٨ ، ولم يكن أمامه سوى فتح «عدن» و «زبيد» لبسط سيطرته على جميع أقاليم اليمن الداخلية .

وهكذا يتضح أن قوة الإمامة الزيدية هى القوة الرئيسية التى واجهت العثمانيين فى اليمن ، ولذلك كانت العلاقة بين هذين القطبين هى المحور الرئيسى التى دارت حوله أحداث فترة وجود العثمانيين فى اليمن ، وهى فترة تمتد حوالى مائة عام (١٥٣٨ — ١٦٣٥ م) . ولم تكن هذه العلاقة حرباً دائماً ، أو سلاماً دائماً ، وإنما كانت مزيجاً من الاثنين ، وإن غلب عليها الطابع الساخن المتوتر وخاصة لأن تجاور قوتين كبيرتين — وهما العثمانيين والزيديين — كان يؤدى حتما إلى قيام الاحتكاك بينهما ، إذ كان يهم العثمانيون أن يتيمموا عمقاً استراتيجياً فى داخل اليمن لحماية وجودهم على السواحل اليمنية ، كما ظل الزيديون يرون أن العثمانيين هم العقبة فى سبيل مد سيطرتهم على جميع جهات اليمن . وقد نجح العثمانيون فى بداية الأمر فى إخضاع الزيديين لسيطرتهم ، ومد هذه السيطرة إلى أقاليم اليمن المختلفة إلى «صعدة» شمالا . غير أن المطهر بن الإمام شرف الدين — الذى كان قد أجبر العثمانيون على إبقائه حاكما لممتلكاته الخاصة مع اعترافه بسيادتهم عليه —

استطاع بعد قليل أن يشعل الثورة فى اليمن ، وأن يخرج العثمانيين بالتالى من جهات اليمن المختلفة ما عدا « زبيد » وميناء « المخا » . ولكن لم ينته الأمر عند هذا الحد . فنظراً لقوة الدولة العثمانية العامة حينذاك فقد استطاعت هذه الدولة أن ترسل حملة قوية إلى اليمن تمكنت من إعادة السيطرة العثمانية إلى هناك مرة أخرى . ورغم ذلك فلم يتمتع الحكم العثمانى بالاستقرار طويلا إذ ظهر إمام جديد هو الإمام القاسم بن محمد الذى أشعل الثورة مرة أخرى على العثمانيين ، وبدأ فى بسط سيطرته على بعض المناطق الشمالية ، ثم نجح ابنه الإمام المؤيد فى إخراجهم من اليمن كلية سنة ١٦٣٥ م . ولا شك أن أخطاء الحكم العثمانى هناك كانت تساعد على إثارة اليمنيين وعلى قيامهم بالثورة ، فكان ذلك مما يقوى من جانب الزيديين ، وأدى إلى نجاحهم فى النهاية وفى نفس الوقت ، كان وجود بعض الولاة العثمانيين الأقوياء فى اليمن ، وقيامهم ببعض الأعمال الإصلاحية والعمرانية ، وكذلك كان ارتباط مصالح بعض اليمنيين بالعثمانيين ، أوعلى الأقل ميلهم إلى الحكم العثمانى ، كان هذا كله يعمل على بقاء العثمانيين فى اليمن ، وعلى إطالة مدة حكمهم هناك .

وهكذا تتضح الظروف التاريخية فى العهد العثمانى الأول فى اليمن ، وهى ظروف تأرجحت بين الحرب والسلام ، بين العنف واللين ، بين اشتعال الثورات والتقارب مع الحكم العثمانى القائم . وكانت طبيعة اليمن الجبلية تساعد الأهالى وخاصة فى المناطق الشمالية على إعلان الثورة ضد العثمانيين ، وعلى جعل الأئمة الزيديين فى مركز القوة الذى يساعدهم على جذب العناصر اليمنية المختلفة إليهم وخاصة المتذمرة ، وعلى عكس ذلك كانت هذه الطبيعة ذاتها تقف عائقاً ضد حركة الجيوش العثمانية النظامية ، كما تقف ضد قدرتها على بسط سيطرتها بسطاً فعالا كاملا . .

وقد تأثرت بطبيعة الحال حركة التأليف التاريخى بهذه الأحداث السياسية الخاصة بتلك الفترة ، أو بالأحرى بوجود العثمانيين فى اليمن وما ترتب على

ذلك من نتائج . فقد نتج عن وقوع الصدام السياسى والعسكرى بين العثمانيين واليمنيين وخاصة الزيديين ، أن وقع صدام آخر فى النواحى الثقافية والفكرية ، إذ كان من الطبيعى أن يشترك القلم فى المعارك القائمة حينذاك . وتظهر كتابات ومؤلفات تنحاز إلى جانب ضد الآخر ، وذلك للدفاع عن قضايا القوى المتحاربة ، فتشرحها وتعرضها وتهـــاجم القوى الأخرى فى نفس الوقت وتسفه آراءها . ولم تقف حدود هذه الآثار عند الكتابات التاريخية ، فقد تأثرت كذلك المؤلفات الفقهية والمذهبية ، إذ نشطت حينذاك أيضاً حركة التأليف فى نواحى الفقه المذهبى ، وخاصة لأن المذاهب الدينية وقتذاك كانت تتخذ ستاراً لتغطية المصالح السياسية والمادية المختلفة ، أو بمعنى آخر كانت هذه المصالح تتغلف بغلاف مذهبى معين ، وذلك لسيطرة الدين فى ذلك الوقت على جميع نواحى الحياة . وهذا ما يفسر فى الحقيقة سبب حدة الصراع حينذاك بين المذاهب الإسلامية — أو حتى المسيحية — رغم وحدة العقيدة ذاتها .

ولهذا كله فيمكن أن ننتهى هنا إلى أن أسباب نشاط الحركة التاريخية فى اليمن فى الفترة التى نعنيها إنما ترجع إلى عامل خاص باليمنيين أنفسهم ، وعامل سياسى خاص بالفترة ذاتها وظروفها التاريخية ، أى خاص بوجود العثمانيين وما ترتب على ذلك من أحداث .

غير أن هناك أمرين هامين نرى ضرورة الإشارة إليهما لتوضيح ما قصدناه من وراء استعمال كلمة « نشاط » لوصف حركة التأليف التاريخى فى تلك الفترة ، أو لتحديد مدى هذا « النشاط » حينذاك :

أولهما — أن هذا النشاط أمر نسبى . أى بالنسبة لما حدث فى البلاد العربية الأخرى فى نفس الفترة مثلما حدث فى مصر كما رأينا . وبالنسبة لما حدث فى اليمن فيما حول هذه الفترة .

ثانيهما — أن هذا النشاط كان فى الكم وليس فى الكيف ، إذ لم يحدث فى هذه الفترة تقدم علمى أو نهضة علمية تذكر ، كما لم يحدث كذلك تغيير فى طريقة كتابة التاريخ على الأقل ، بل تشابهت الحياة العلمية والتاريخية مع مثيلاتها فى الفترات السابقة .

ويزداد الأمر وضوحاً إذا أشرنا بإيجاز إلى طبيعة الدولة العثمانية ونظمها وإلى ما ترتب على دخولها إلى البلاد العربية من آثار فى هذه البلاد .

فمن ناحية ، يلاحظ أنه نظراً لطبيعة العثمانيين الأولى ، ونظراً لطبيعة نشأة دولتهم ، فقد كانت الحكومة والجيش شيئاً واحداً ، أو بالأحرى كانت الحكومة العثمانية جيشاً قبل أى شىء آخر ، أى كانت الحرب هى المهمة الأولى للدولة ثم يأتى الحكم فى المرتبة الثانية . وقد نمت الوظيفة الثانية للدولة مع نمو الدولة نفسها . ورغم ذلك فحتى عهد السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ — ١٥٦٦م) - الذى تم فى عهده فتح البلاد العربية ووضع النظم لإدارتها - ظلت وظيفتا الهيئة الحاكمة — وهما الحرب والحكم — مرتبطين ببعضهما أشد الارتباط ، إذ كان قادة الفرق العسكرية هم حكام الأقاليم وكبار موظفيها فى نفس الوقت[١] .

ومن ناحية ثانية ، فقد ترتب على هذه الطبيعة الخاصة للدولة العثمانية ، وعلى تغلب الصفة العسكرية لها على الصفة المدنية ، وعلى طبيعة حكومات ذلك العصر سواء فى الشرق أو فى الغرب ، ترتب على هذا كله أنه لم تكن من بين مهام الحكومة العثمانية القيام بالإصلاحات والخدمات العامة ، أو بإصلاح أحوال الزراعة والصناعة والتجارة ، أو بنظم التعليم أو غير ذلك ، بل كان هذا من مهام الأهالى أنفسهم ، إذ كان كل ما يهم هذه الحكومات

---

(١) Lybyer, A. H. : The Government of the Ottoman Empire in the time of Suleiman the Magnifecent, pp. 90-91.

فى ذلك الحين هو تدعيم قبضتها وسيطرتها فى داخل أقاليمها، والقيام بالحرب للدفاع عن نفسها أو لمهاجمة جيرانها إذا اقتضى الأمر ذلك ، أما الاهتمام بشئون الأهالى ، فكانت هذه الحكومات لاتقوم بها إلا لتسهيل مهمة الحكم مثلما كان يفعل بعض السلاطين العظام ، أو للتقرب الى الأهالى وكسب ثقتهم كما كان يفعل بعض الباشوات أو الأمراء الأقوياء فى ولاياتهم (١) .

ومن ناحية ثالثة ، وتمشياً مع ماسبق أن ذكرناه فانه نظراً لمرونة الدولة العثمانية حتى نهاية القرن السادس عشر على الأقل ، واستيعابها للأوضاع والتنظيمات التى وجدتها فى البلاد التى ضمتها إليها ، فقد أبقت هذه الدولة على ما وجدته من أوضاع سياسية واجتماعية وثقافية كما هى طالما كانت هذه الأوضاع لاتتعارض مع مصلحتها ، وبعد إخضاعها لسيطرتها ، كما استعانت هذه الدولة كذلك بالعناصر المحلية فى الاقاليم المفتوحة فى حكم أقاليمها طالما اعترفت هذه للعناصر بالسيطرة العثمانيه عليها . ويرجع هذا الى حد كبير إلى تأخر العثمانيين حضارياً بالنسبة للبلاد التى أدخلوها فى طاعتهم بوجه عام وبالنسبة للحضارة العربية بوجه خاص أو بالأحرى لم يكن لديهم مايفرضونه فى تلك البلاد ، أو يحدثوا به آثاراً واضحة بها .

وعلى ضوء هذه الإشارات السريعة فيمكن القول بأن صورة الحكم العثمانى فى اليمن قد تحددت فى الآتى :

أولا : أن العثمانيين لايهمهم من وراء وجودهم فى اليمن غير بقائه خاضعاً لسيطرتهم وغير تدعيم هذه السيطرة باستمرار ، مع مايستتبع ذلك من جمع الأموال المقررة على الأهالى والعمل على القضاء على ثوراتهم، وذلك لتحقيق هدفهم العسكرى فى اليمن وهو اتخاذه قاعدة دفاعية أمامية لصد الخطر

---

(١) Lybyer, A. H. : The Government of the Ottoman Empire in the time of Suleiman the Magnificent, pp. 147.

البرتغالى الذى يطوق البلاد العربية من ناحية الجنوب . ولحماية الحرمين الشريفين .

ثانيا : أن العثمانيين قد استعانوا بالعناصر اليمنية المختلفة فى حكم بلادهم سواء فى ذلك السنى أو الشيعى — أى الشافعى أو الزيدى والاسماعيلى — رغم أن المذهب الرسمى للعثمانيين هو الحنفى ، فكان من بين هذه العناصر السناجق والكشاف حكام الأقاليم المختلفة ، وكذلك قواد الفرق العسكرية التى كان الولاة يعتمدون عليها فى ضرب ثورات الأقاليم المتمردة ، كما كان من بينها أيضاً الموظفون المدنيون مثل الكتاب والمترجمين فى « الديوان » العثمانى فى اليمن .

ثالثا : أن العثمانيين لم يغيروا من الأوضاع الاجتماعية أو الثقافية التى واجهتهم فى اليمن ، بل تركوا أمر العناية بها وتطويرها لليمنيين أنفسهم . حقيقة أن بعض الولاة الأقوياء قد اهتموا بحفر الآبار وتعبيد الطرق وإقامة السدود الصغيرة والجسور وبناء المساجد والمدارس أو تعميرها ، ولكن هذا — فى الغالب والواقع — كان من قبيل تدعيم الحكم العثمانى نفسه والرغبة فى التقرب الى الأهالى ، ولم يكن جزءاً من مهام هؤلاء الولاة .

رابعاً : أن العثمانيين شعروا بالحساسية تجاه الأوضاع الخاصة باليمن وذلك نظراً لطبيعة أوضاعه الطبيعية والبشرية الخاصة ، فزاد هذا من سلبية حكمهم هناك ، وذلك بالإضافة الى طبيعة النظم العثمانية الخاصة وإلى طبيعة وجهة نظرهم فى الحكم . فمن الناحية الطبيعية أثر الطابع الجبلى لليمن على النواحى الاقتصادية والبشرية فى البلاد ، ليس من ناحية تحديد نوعية هذه النواحى فحسب ، بل من ناحية طبعها بطابع خاص يحتاج إلى سياسة ومعالجة خاصة للأمور . وكان فقر المناطق الجبلية الوعرة اقتصادياً من أهم العوامل التى زادت من حساسية هذه المناطق ضد الحكم العثمانى ، والتى جعلتهم

اكثر اندفاعا إلى الثورة والحرب ، وذلك كما كان الحال فى المناطق الجبلية الشمالية — حيث توجد أغلبية زيدية — وفى المناطق الجبلية الجنوبية مثل « يافع » و « وصاب » و « ريمه » وغيرها . ومن الناحية البشرية ، خلقت بيئة اليمن قوى بشرية ذات أوضاع طبيعية ونفسية خاصة فأصبح هناك الجبلى والسهلى ، وهناك القبلى والريفى والحضرى ، وهناك من ارتبط بالأرض حيث يعمل بالزراعة أو المتنقل الذى يشتغل بالرعى أو حتى الحرب ويسكن قمم الجبال ، وهناك الشافعى والزيدى والإسماعيلى .

وقد ترتب على ما سبق أن أشرنا إليه — وهذا هو ما نرمى إلى توضيحه فى هذه الدراسة — أننا نجد أن العثمانيين لم يؤثروا تأثيراً يذكر فى الحياة العلمية فى اليمن — أو غيره من البلاد العربية — سواء بالإيجاب أو السلب :

فهم من ناحية لم يعملوا على تطويرها لأن ذلك لم يكن من بين وظائفهم ، ولأنه لم يكن لديهم أفضل مما فى اليمن يستطيعون أن يضيفوه إلى ما هنالك ، فثقافة العثمانيين فى نهاية الأمر جزء من الثقافة الإسلامية العامة المعاصرة وقتذاك . ويتضح ذلك بشكل كبير إذا قارنا — على سبيل المثال — بين كتب التاريخ التركية والعربية التى وضعت فى ذلك الوقت ، فإننا لا نجد بينهما أية فروق بل نجد أنها جميعاً تنتمى إلى نمط فكرى واحد ، وذلك من حيث الأسلوب أو منهج البحث أو الموضوعات التى تناولتها أو غير ذلك.

وهم — أى العثمانيون — لم يعملوا من ناحية أخرى على إهمال الحياة العلمية القائمة حينذاك فى اليمن أو الإساءة إليها ، لأن ذلك أيضاً لم يكن من أهدافهم . ولأنهم عملوا فى حقيقة الأمر - وبقدر استطاعتهم وإمكانياتهم - على المحافظة على ما هو كائن بالفعل ، وذلك بتقريب العلماء إليهم والاستعانة بهم فى الوظائف المختلفة ، وبناء المساجد والمدارس أو تجديد وتعمير ما هو

قائم منها . وذلك كما تشير المخطوطات المعاصرة وقتذاك سواء المنحازة للعثمانيين أو المعارضة لهم .

أما ما حدث بالفعل فهو أن الحياة العلمية فى اليمن فى ذلك الوقت إنما سارت على نفس الوتيرة التى كانت تسير عليها فى الفترة السابقة للحكم العثمانى، وحملت كل ملامحها وأشكالها . ويتأكد هذا إذا قارنا بين مؤرخى الفترة العثمانية وبين ابن الديبع [1] مؤرخ الأسرة الطاهرية التى حكمت اليمن قبل مجىء العثمانيين إليه مباشرة ، فإنه سيتضح من هذه المقارنة التشابه الشديد بين مؤلفات هذين الجانبين ، ومما يؤكد لنا بالتالى أنها جميعا تنتمى إلى مدرسة تاريخية واحدة هى مدرسة التاريخ الإسلامى العامة .

وهنا نتساءل : ما هى إذاً ملامح مدرسة التاريخ اليمنى فى ذلك العهد العثمانى ؟

تستمد هذه المدرسة جذورها دون شك من مدرسة التاريخ الإسلامى فهى جزء منها بل وإمتداداً لها فى نفس الوقت ، وبالتالى فأولى صفات المدرسة اليمنية هى انتسابها إلى المدرسة الإسلامية .

ومن المعروف أن مدرسة التاريخ الإسلامى تتصف بصفات خاصة ترجع فى الحقيقة إلى طبيعة نشأتها وتطورها ، فقد بدأ التاريخ عند العرب المسلمين فرعا من علم الحديث فكان حريا أن يتأثر بطريقة المحدثين فى

---

(١) هو وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى الزبيدى الشافعى المعروف بابن الديبع ، وهو مؤرخ محدث من أهالى زبيد ولد ومات فيها . عاش من ٨٦٦ إلى ٩٤٤ (١٤٦١ — ١٥٣٧ م) ، وكتبه التاريخية ما زالت مخطوطة ، وهى « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد » ، وذيله وهو « الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيدة » « وقرة العيون فى أخبار اليمن الميمون » وذلك إلى جانب الكتب المختلفة فى الحديث ، ولابن الديبع ترجمة كتبها بنفسه فى كتابه « الفضل المزيد » كما ذكر كثيراً فى كتب التراجم المختلفة وهو يحتاج إلى دراسة خاصة مستفيضة .

جمع الرواية التاريخية ونقدها ولذلك كان النقد عندهم ، أو الجرح والتعديل كما كانوا يسمونه ، ذاتياً منصباً على الرواة لا موضوعياً منصباً على المرويات. وكذلك فإذا كان الإسناد عند مؤرخى العرب أساس نقد الأخبار ، فقد كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والأيام وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم من اليونان والرومان والأوربيين فى العصور الوسطى [١] . ولقد تطورت كتابة التاريخ عند المسلمين من هذه الصورة الأولية وهى « تاريخ الخبر » مع نمو الدولة الإسلامية العامة نفسها واتساعها ثم ضعفها وتفتتها بعد ذلك ، فانتقلت من الإهتمام بذكر الأخبار المحدودة التى تستغرق حيزاً محدوداً وبدراسة السيرة النبوية والمغازى إلى كتابة التاريخ العام للدولة الإسلامية ، بل وتاريخ العالم المعروف حينذاك منذ بدء الخليقة ، وذلك مع اتخاذ طريقة الحوليات — أى ترتيب الأحداث على السنين — طريقة للعرض التاريخى . ومع ضعف الخلافة العباسية فى بغداد وظهور قوة الأمصار واستقلالها تنوعت صور الكتابة التاريخية ، فظهر الإهتمام بكتابة تاريخ الدول المستقلة فى مصر والعراق واليمن وغيرها ، كما ظهرت كتب التراجم والطبقات والأنساب [٢] . وتطورت كتابة التاريخ الإسلامى أكثر من ذلك ، إذ اهتم المؤرخون بتفسير الأحداث وتحليلها أى أنهم عرفوا الطريق إلى السببية والعلية ، وبلغ ذلك ذروته عند ابن خلدون فى مقدمته المشهورة ، كما أصبح علم التاريخ نفسه موضوعا قائماً بذاته مثلما فعل السخاوى فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » . غير أن

---

(١) هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى ، ص ٤٣ — ٤٤ . (والاعتماد هنا على الفصل الثالث الذى وضعه المترجم وأضافه الى نص الكتاب) .

(٢) يرجع إلى الفصل الثالث من كتاب فرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلى ، مراجعة محمد توفيق حسين (طبعة بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٣) وذلك للتوسع فى هذا الموضوع .

هذا التطور الكبير فى كتابة التاريخ عند المسلمين لم يخرجها عن اصولها الأولى ، فقد ظل الإسناد وضبط التوقيت والترتيب على السنين ، مع الكتابة الموسعة المفصلة التى تتضمن الأمور السياسية والاجتماعية إلى جانب شىء من التراجم والجغرافيا والتنجيم والفلسفة ، مع استخدام السجع أحياناً أو الشعر أحياناً أخرى لإظهار المقدرة على الكتابة أو سعه الثقافة والإطلاع ، ظل هذا كله الصفات العامة التى التزمت بها الكتابة التاريخية خلال تطورها الطويل ، رغم تنوع صورها أو اختلاف مواضيعها .

وقد ورث المؤرخون اليمنيون فى العهد العثمانى المدرسة الإسلامية — أو كانوا امتداداً لها كما ذكرنا — والتزموا بالمنهج العلمى الذى سارت عليه كتابة التاريخ فى العصور الوسطى الإسلامية ، وهذا ما جعلنا نطلق على مجموعة هؤلاء صفة المدرسة . فقد حرصوا من ناحية فى مقدمات مؤلفاتهم على توضيح المنهج الذى ساروا عليه فى هذه المؤلفات ، فيذكرون الغرض أو الدافع إلى التأليف ، ثم كيفية تقسيم كتاباتهم إلى أبواب وفصول ، ثم أسماء الكتب التى نقلوا عنها معلوماتهم المتعلقة بالفترات السابقة عليهم ، أو أسماء الأشخاص — وخاصة العلماء والفقهاء — الذين تتلمذوا على أيديهم أو الذين رووا لهم مشاهداتهم بالنسبة للأحداث التى عاصروها ، أى أنهم تمسكوا بالإسناد وبتوثيق المعلومات التى أوردوها فى كتبهم . ومن ناحية أخرى حافظ هؤلاء المؤرخون على باقى الصفات العلمية التى تحلت بها مدرسة التاريخ الإسلامى بوجه عام ، مثل ترتيب الأحداث على طريقة الحوليات أو سوق هذه الأحداث مساق القصة المرتبة على العهود وإبراز العظة والاعتبار ، وذلك مما كان من الأهداف الرئيسية لكتابة التاريخ عند المسلمين ، أو مثل الإهتمام بترجمة حياة الشخصيات الهامة الذين عاصروهم ، وبالكتابة الموسعة ذات التفصيلات المطولة لنواحى الحياة المختلفة بما فى

ذلك ذكر الظواهر الفلكية — وهذا مما يمكن أن نسميه بالكتابة الإنسيكلوبيدية التى تميزت بها كتابة التاريخ فى العصور الاسلامية بوجه عام — أو غير ذلك مما سيتضح عند التحدث عن المؤرخين اليمنيين الذين نعنيهم كل على حدة .

أما الصفة الثالثة لهذه المدرسة اليمنية فهى أنها ذات طابع يمنى بحت إذ اهتم مؤرخو هذه الفترة العثمانية بصفة أساسية بذكر الأحداث اليمنية فقط ، ولم يخرجوا عن هذا الحيز المحلى إلا لماماً مثلما فعل البعض عندما بدأوا مؤلفاتهم بذكر السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين ، أو بذكر قيام الدولة العثمانية وتتبع أسماء سلاطينهم حتى عهد السلطان القائم ، وذلك فى صورة سريعة مقتضبة يتلوها الحديث عن الأحداث المحلية المعاصرة وقتذاك ، وإن أمكن استثناء « ابن داعر » من هذا الالتزام المحلى كما سيتضح فيما بعد ، وتبلور هذا الطابع المحلى فى صورة أخرى وهى حرص هؤلاء المؤرخين فى مقدمات كتبهم على ذكر فضائل اليمن وما امتاز به من الصفات على سائر البلدان ، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تأييداً لذلك . ولا يتعارض مع هذا — أى التعصب لليمن وذكر فضائله — أن أصبح هذا التعصب ظاهرة تقليدية فى سائر البلدان العربية منذ ظهور قوة هذه البلدان الذاتية ، واستقلالها داخلياً على الأقل عن الخلافة العباسية ، وذلك كما يتضح عند مؤرخى مصر على سبيل المثال[1] ، إذ كانت النزعات المحلية قد اشتد ساعدها على حساب دولة الخلافة العامة منذ نهاية عهد الخلافة العباسية الأولى . غير أن الصفة الأساسية التى تجعل لهؤلاء المؤرخين طابعاً يمنياً خاصاً فهى صفة ذاتية تتعلق بطبيعة اليمنيين

---

(١) الدكتور محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى (القرن التاسع الهجرى) ص ٩٣ .

أنفسهم ، وهى ميلهم إلى العنف والحدة والتعصب للقبيلة أو المذهب وذلك بما يرجع إلى الظروف الطبيعية والبشرية الخاصة باليمن ، مثل الطبيعة الجبلية والخصومة المذهبية ، والأوضاع البشرية . واتضح أثر هذه الصفة المحلية بصورة جلية فى كتابات العهد العثمانى التاريخية ، وذلك من حيث الأسلوب أو الموضوع أو الغرض من الكتابة أو غير ذلك ، فقد ارتبط بها — أو كان نتيجة لها فى الحقيقة — أن اتسمت كتابات هذه الفترة — أو أغلبها على الأقل - بسمة التحيز إلى جانب — العثمانى أو اليمنى الزيدى - ضد الآخر ، وبالتعصب لقضية معينة أو لموقف خاص . ولذلك فقد تضمنت هذه الكتابات السباب والشتائم التى قد تتناول العيوب الجسدية[1] كما تضمنت تسفيه العقائد والاتهام بالخروج على الدين إلى غير ذلك . كذلك ظهر التحيز والتعصب فى « موضوع » الكتابة وليس فى الأسلوب فحسب ، إذ بدا أحياناً أن الغرض الرئيسى من وراء بعض هذه الكتابات التاريخية إنما هو الدفاع عن قضية بذاتها! وليس التاريخ فى حد ذاته . وربما كان هذ التحيز كفيل بإسقاط صفة المؤرخ عن بعض مؤرخى الفترة التى نتناولها ، وذلك كما قد يتبادر إلى ذهن البعض ، إذ أن المؤرخ الحق هو من يستطيع أن يتجرد من الهوى والتحيز عند الكتابة ، ولكننا نرى أنه مما يقلل من أهمية هذا الرأى أن أصحاب الكتابات المنحازة - حتى المبالغين منهم — لم يخرجوا عن الأصول العلمية للتأريخ فى هذه الفترة ، كما أنهم لم يحرفوا الحقائق أو يهملوا ذكرها ، وإنما كان هجومهم وشتائمهم تنصب فقط على الأشخاص وعلى بعض تصرفاتهم ، فكتابات بعض الزيديين —

---

(١) تردد لفظ « الأعرج » فى كتابات كثير من المؤرخين المنحازين إلى العثمانيين إشارة إلى المطهر ابن الإمام شرف الدين لأنه كان يعرج فى مشيته نتيجة إصابته بكسر فى إحدى قدميه فى إحدى المعارك فى بداية حياته ، وذلك تحقيراً له بالإضافة إلى باقى الشتائم والسباب الأخرى مثل الملحد والمخادع والمضلل وغير ذلك .

على سبيل المثال - مليئة بذكر الأعمال الصالحة للولاة العثمانيين من ذوى الشخصيات العادلة القوية وذلك رغم هجومهم العام على العثمانيين وعلى حكمهم فى اليمن . وحقيقة أن بعض الكتابات التاريخية حينذاك كانت أشبه بالمنشورات السياسية أو الكتب الدعائية فى أزماننا الحديثة من حيث الأسلوب أو الموضوع ، ولكن هذه الكتابات كانت لا تمثل سوى أجزاء أو مقتطفات من مؤلفات طويلة .

وهكذا فبعد هذا العرض للصفات المختلفة للكتابات التاريخية فى هذه الفترة فإنه يمكن القول بأن مجموعة مؤرخى هذه الفترة إنما كانوا يمثلون « مدرسة يمنية » ، وان هذه المدرسة استمدت جذورها وصفاتها من المدرسة التاريخية الإسلامية العامة .

غير أنه من الصعب فى الحقيقة ألبت فى كيفية تقسيم أفراد هذه المجموعة أو المدرسة إلى مجموعات صغيرة حتى يسهل ترجمة حياة كل منهم على حدة ، فقد اختلفوا فيما بينهم من حيث الاهتمامات والاتجاهات ، فقد اهتم البعض بكتابه التراجم أما البعض الآخر فقد اهتم بكتابه التاريخ العام لليمن فى العهد الإسلامى أو فى العهد العثمانى فقط ، أو كتابة تاريخ فترة محددة مثل فترة حكم وال ، أو عدد من الولاة العثمانيين . أما من ناحية اختلاف الاتجاهات فقد انحاز البعض إلى جانب العثمانيين . ومال البعض الآخر إلى جانب الأئمة الزيديين . ومن ناحية أخرى فيصعب الاعتماد على الترتيب الزمنى إذ أن تاريخ ميلاد أو وفاة بعض هؤلاء المؤرخين غير معروف ، بل وبعض مؤلفات هذه الفترة مجهولة المؤلف أيضاً . وإزاء هذا فإنه من الممكن وضع ترتيب اصطلاحى يجمع بين هذه المتناقضات كلها أو ينسق بينها فى الحقيقة . فنتحدث فى البداية عن أصحاب كتب التراجم ثم أصحاب الكتب التاريخية الأخرى ، التى يمكن أن نطلق عليها المؤلفات الحولية ، وذلك بعد تقسيمها إلى قسمين حسب اتجاهاتها ، فنتحدث أولا عن

المنحازين إلى العثمانيين أو ما يمكن أن نسميهم الكتاب الرسميين بالنسبة للحكم العثمانى القائم ، ثم تتناول المنحازين إلى الأئمة الزيديين ، أو ما يمكن أن نسميهم كتاب المعارضة ، أما فى داخل هذه المجموعات والتقسيمات ، فيكون الاعتماد على الترتيب الزمنى بقدر المستطاع ، على أساس تاريخ وفاة المؤلف ، أو على أساس اقتراب تاريخ وضع المؤلفات التاريخية بالنسبة للفترة التاريخية التى نعنيها وهى فترة الحكم العثمانى فى اليمن .

ويساعد هذا الترتيب الاصطلاحى على إبراز صفات هذه المجموعات كل منها على حدة ، وعلى العناية بشكل واضح بترجمة هؤلاء المؤرخين ، أما ترتيب الحديث عن هؤلاء حسب ضخامة مؤلفاتهم التاريخية أو أهميتها بالنسبة لتاريخ العهد العثمانى فى اليمن ، أو حسب معاصرة هؤلاء المؤرخين لذلك العهد فهذا كله يدفعنا إلى النظر إلى المؤرخين من زاوية ضيقة تعتمد على أعمالهم التاريخية فحسب ، وذلك مما يقلل من قيمة أعمالهم فى باقى فروع المعرفة ومما يتعارض مع طبيعة ذلك العصر . فطبقاً لهذه الطبيعة لم يكن المؤرخ مؤرخاً فحسب ، بل كان صاحب أدب وفقه وحديث وغير ذلك من فروع الثقافة الإسلامية المعاصرة وقتذاك ، فلم يكن التخصص الضيق قد ظهر بعد فى شرقنا العربى ، أو حتى فى باقى أنحاء العالم . ولذلك فلا بد من الإلمام الشامل عند ترجمة حياة هؤلاء المؤرخين ، إذ أن هذا يساعد على تعميق فهمنا لطبيعة ذلك العصر ، فهؤلاء المؤرخين إنما هم ظواهر فكرية للحياة الثقافية حينذاك ، أو أنهم علامات على الطريق بالنسبة لهذه الحياة فى اليمن . وتتناسب هذه النظرة مع اهتمامنا فى بداية هذه الدراسة بتوضيح النواحى الطبيعية أو النفسية والتاريخية التى أحاطت بهؤلاء المؤرخين وذلك حتى يبرز موقف هؤلاء الكتاب من هذه النواحى ، وحتى يتضح تأثرهم بها فى نفس الوقت .

(ا) مجموعة أصحاب كتب التراجم

١ ـ العيدروس

وأولى مجموعات هذه الفترة هي مجموعة أصحاب التراجم وأولها عبد القادر ابن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس، صاحب كتاب «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» الهجرى (ويوافق السادس عشر الميلادى تقريباً). وهو من أسرة العيدروس صاحبة النفوذ والجاه فى اليمن وقتذاك وخاصة فى حضر موت وعدن[١]، وهى تنتسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أى أن أفرادها كانوا من الأشراف، وهذا مما كان يرفع من مكانتهم الاجتماعية، إذا كان الأشراف حتى ذلك الوقت يكونون طبقة أرستقراطية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بدون استثناء، ويتمتعون بالجاه والنفوذ والثروة أينما وجدوا. وقد سكنت أسرة العيدروس حضر موت منذ أمد بعيد قبل ولادة عبد القادر، بل وتولى بعض أفرادها الوظائف الكبيرة فى اليمن، فقد أشار عبد القادر عند ترجمته لحياة جده وذلك عند وفاته سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م) أن عم جده كان والياً لعدن فقال «وكان من كبار الأولياء صحب عمه الشيخ الكبير فخر الدين أبا بكر ابن عبد الله العيدروس صاحب عدن واختص به»[٢]. وكذلك أنجبت هذه الأسرة الكثير من العلماء والفقهاء النابغين الذين تركوا وراءهم الكثير من المؤلفات فى الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية. وأنجبت هذه الأسرة أيضاً الكثير من الأولياء والمتصوفة، ولبعضهم مزارات فى جنوب اليمن وفى الهند، ويتأكد هذا فى ترجمة جد ووالد عبد القادر، بل كان هو نفسه من المتصوفة كما سنرى فيما بعد، مما يبدو أنهم أصحاب طريقة صوفية، وممن يعطون العهود لمريديهم سواء فى داخل اليمن أو خارجه، فقد جاء فى ترجمة جده «ولبس منه الخرقة جماعة من أعيان مكة»[٣] ولذلك فليس غريباً أن

---

(١) يعتبر مسجد «سيدى العيدروسى» أهم مساجد عدن حتى الآن وأكبرها.

(٢) عبد القادر بن شيخ العيدروس: النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص٢١٠.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

يكون من ضمن مؤلفات عبد القادر الكبيرة كتاباً بعنوان « الفتوحات القدوسية فى الخرقة العيدروسية »[١] .

أما والد المؤرخ فقد ولد فى « تريم » بحضرموت حيث عاش والده ، ثم انتقل إلى الهند وهو يقترب من الأربعين من عمره حيث أقام فى « أحمد أباد » فى شمال الهند ، حتى توفى بهـا بعد حوالى إثنين وثلاثين عاماً . و « دفن بها أيضاً فى صحن داره وبنى عليه قبة عظيمة »[٢] . وكان هذا الوالد من أهل العلم والتصوف كما قرض الشعر ، فقد ذكر عبد القادر بعض أسماء مؤلفات أبيه وأغلبها فى التصوف والأوراد ، كما قال إنه صاحب ديوان شعر ، ثم ذكر بعض أبيات منه ، منها قصيدة نظم فيها نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] . وكان لهذا الوالد شهرة واسعة بين معاصريه كما ذكر ابنه عبد القادر عند وفاته ، وقال : « ومناقبه وكراماته ليس هذا محلها ، وقد أفردها غير واحد من العلماء بالتصنيف كالشيخ . . . ، والشيخ العلامة البكرى المكى فى كتابة « نزهة الإخوان والنفوس فى مناقب شيخ ابن عبد الله العيدروس » ، وقد ذكرت كثيراً منها فى مقدمة كتابى الفتوحات القدوسية فى الخرقة العيدروسية ، وإنما قصدنا الآن الإشارة إلى ذلك إجمالا ليستدل به على جلالة قدره وفخامة أمره »[٤] .

يتضح من هذا التقديم الطويل أن عبد القادر كان من الأشراف ، وأن أسرته استوطنت جنوب اليمن قبل ولادته بأمد بعيد ، وأنه نشأ وتربى فى بيئة متصوفة بين علماء عصره وفى كنف أبيه . وقد أشار هو نفسه إلى ذلك

---

(١) عبد القادر بن شيخ العيدروس: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ٣٣٧ — ٣٣٨

(٣) نفس المرجع ص ٣٧٢ — ٣٧٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٧٥ — ٣٧٧ .

(٤) نفس المرجع ص ٣٧٨ .

فى ترجمته لحياته عند ذكر سنة ولادته ، فذكر العلماء والفقهاء الذين أخذ عنهم العلم وأنه كان موضع عناية والده من الناحية العلمية ، فأدى هذا إلى شغفه بالعلم وباقتناء الكتب فقال « وعملت الهمة فى إقتناء الكتب المفيدة وبالغت فى طلبها من أقطار البلاد البعيدة مع ما صار إلىّ من كتب الوالد رحمه الله» (١) .

ولد عبد القادر بن شيخ فى ٢٠ ربيع أول سنة ٩٧٨هـ (٢٢ أغسطس سنة ١٥٧٠ م) غير أن مكان ولادته غير معروف ، وإن كنا نميل إلى القول بأنه ولد فى أحمد آباد حيث كان يقيم والده حينذاك . فقد قيل فى ترجمة له « أنه سكن حضرموت وانتقل إلى « أحمد أباد » بالهند فتوفى فيها (٢) ، ولكن يبدو أن ذلك يتعلق بوالده ولا يتعلق به ، فهو لم يشر إلى مكان ولادته فى ترجمته لنفسه ، كما سافر والده إلى الهند وأقام بها قبل مولد عبد القادر بحوالى عشرين عاماً ، بل وظل بها حتى توفى دون أن يعرف أنه غادرها إلى حضرموت فى أى وقت من الأوقات ، وذلك رغم اهتمام ولده عبد القادر بذكر تنقلات أبيه المختلفة حتى وفاته . أما والدة عبد القادر فهى جارية هندية أهدتها سيدة ثرية من الهند إلى والده أثناء إقامته هناك فلم تنجب له غير ولده هذا (٣) . وتاريخ وفاة عبد القادر بن شيخ موضع خلاف أيضاً ، فقد جاء فى هامش أصل كتابه « النور السافر . . » عند ذكر مولده

---

(١) عبد القادر بن الشيخ العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص٣٣٦

(٢) نفس المرجع ص ٣٣٤ (اهتم بترجمة حياته عند ذكر سنة مولده وكانت هذه عادة تقليدية بين مؤرخى ذلك العصر ، وهى ذكر بعض الأمور الخاصة به وبأسرته وبأعماله ، إما فى مقدمة كتبهم أو فى خلال كتاباتهم . وقد أفاد هذا فى إعطاء العديد من الصور والأعمال من حياة هؤلاء) .

(٣) الزركلى : الأعلام ، ج ٤ ، ص ١٦٤ .

(٤) عبد القادر بن شيخ العيدروس : نفس المرجع ، ص. ٣٣٥ — ٣٣٦ .

عبارة نصها « توفى سيدنا ومولانا وشيخنا القطب محي الدين عبد القادر العيدروس مصنف هذا الكتاب عاشر محرم سنة سبع وثلاثين بعد الألف (٢١ سنة ١٦٢٧م) بأحمد آباد من أرض الهند ودفن بجنب والده فى القبة المنورة نفع الله بهما »[1]. ويبدو أن كاتب هذه العبارة هو أحد تلاميذه أو مريديه المقربين إليه ، وهذا ما يجعلنا نميل إلى هذا التاريخ ، غير أن هناك من ذكر أن وفاته كانت فى عام ١٠٤٨ هـ[2] (١٦٣٨م) ، ولكننا نرجح أنها رواية ضعيفة لبعد روايتهـــا عن المؤلف – أى عبد القادر – كما يبدو .

ولم يتحدث عبد القادر بن شيخ عن الوظائف الرسمية التى تولاها ، كذلك لم نعثر على إشارة لها فى التراجم الخاصة ، ويبدو أنه لم يقم بوظيفة معينة فى حياته بل كان يعيش على أملاكه الخاصة أو على النذور والأوقاف التى كانت تقدم إلى الأشراف أو توقف عليهم من سائر المسلمين تبركاً وتقرباً إلى الله ، وذلك شأنه شأن أكثر الأشراف فى العالم الإسلامى إلى وقت قريب . غير أن عبد القادر عاش حياة علمية نشيطة كما يتضح من حديثه عن نفسه ، وكما يتأكد من كثرة مؤلفاته التى ذكر منها حوالى العشرين أثناء ترجمته لحياته ، أو كما يظهر عند عرض « النور السافر » الذى سنتحدث عنه بشىء من التفصيل فيما بعد . وقد تحدث هو عن أهميته الإجتماعية والعلمية بل والصوفية بشىء من الفخر ثم انتهى حديثه بالعودة إلى تواضع العلماء والمتدينين حينذاك فنسب هذا كله إلى أنه من الله . ولعبارته فى هذا الصدد دلالة على طبيعة هذا العصر وعلى وحدة العالم الإسلامى وأيضاً على وحدة الفكر فى أنحائه إلى حد كبير للغاية . فقد قال بعد أن ذكر أن الله قد أعطاه

---

(١) عبد القادر بن شيخ العيدروس ، ص ٣٣٤ ،هـ ١ .

(٢) الزركلى : الأعلام ، ج ٤ ، ص ١٦٤ .

ما لم يكن فى حسبانه : « حتى سارت بمصنفاتى الرفاق ، وقال بفضلى علماء الآفاق ، ورزقت محبة أرباب القلوب من أولياء الله تعالى . وحظيت بدعواتهم الصالحة ، وعظمنى العلماء شرقاً وغرباً ، وخضع لى الرؤساء طوعاً وكرهاً ، وكاتبنى ملوك الأطراف وأرفدونى بصلاتهم الجليلة وهباتهم الجزيلة ، ووصلت إلى المدائح من الآفاق كمصر وأقصى اليمن وغيرها من البلاد البعيدة ، وأخذ عنى غير واحد من الأعلام ، وانتفع بى عدة من الأنام . وممن لبس منى خرقة التصوف من الأعيان فهم . . . ، وأما الذى لبسها من الملوك والتجار وطوائف الناس فجماعة كثيرون وخلائق لا يحصون ، وألفت جملة من الكتب المقبولة التى لم أسبق إلى مثلها ، ووقع الإجماع على فضلها فلا يكاد يمترى بذلك إلا عدو أو حاسد »[1] . ثم يواصل حديثه هكذا فيعدد أسماء كتبه المختلفة ، مع الإشارات القصيرة عن أهميتها أو موضوعاتها ، ومع بعض التعليقات أو المدائح سواء النثرية أو الشعرية التى وصلت إليه خاصة بهذه المؤلفات ، حتى ينتهى إلى قوله « وذكرى لهذه الأشياء إنما هو من باب التحدث بنعمة الله ، ولأن الذى حكيت عنهم ذلك من أهل الدين والصلاح تيمناً بأنفاسهم الطاهرة[2] .

وقد اشتملت مؤلفاته على موضوعات شتى ، كما اختلفت فيما بينها من حيث الحجم أو الأهمية ، فقد تناول فى بعضها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مثل كتابه « الحدائق الخضرة فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) عبد القادر بن شيخ العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص٣٣٧.

(٢) نفس المرجع : ص ٣٤٣ « أنهى هنا ترجمته لحياته وحديثه عن مؤلفاته بعبارة هامة لتبرير حديثه عن نفسه ، كما أنها تؤكد ما ذهبنا إليه فى أوائل هذه الدراسة من أن مدرسة التاريخ اليمنى إنما تستمد جذورها وصفاتها من المدرسة التاريخية الإسلامية العامة ، كما تؤكد هذه العبارة أيضاً وحدة الفكر الإسلامى حينذاك ، وهذا مما جعلنا نضع عبد القادر العيدروس ضمن مؤرخى اليمن دون تحرج رغم مولده ووفاته فى الهند . وقد جاء فى عبارته هذه « وقد سبقنى إلى ذلك من العلماء المقتدى بهم جماعة لا يحصون كالعلامة ابن حجر العسقلانى ، والعلامة الحافظ السخاوى والعلامة السيوطى ، والعلامة شرف الدين إسماعيل المقرى اليمنى صاحب الإرشاد والعلامة الحافظ ابن الديبع ، والعلامة الفاسى ، وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر الهيثمى وغيرهم .

وأصحابه العشرة » وقد قال عنه « وهو أول كتاب ألفته ، وكان سنى إذ ذاك دون العشرين »[1] . وتناول فى بعضها الآخر تعاليم الدين والفروض مثل كتاب « الدرر الثمين فى بيان المهم من علم الدين » غير أن بعض كتبه عبارة عن شروح لكتب الآخرين مثل كتاب « البارى بختم صحيح البخارى » وكتاب « تعريف الأحياء بفضل الإحياء » والكتاب الأخير مطبوع[2] . وكتابة الشروح والحواشى كانت ظاهرة عامة فى العالم الإسلامى حينذاك ، بل تغلبت هذه الظاهرة على التأليف فى بعض فروع المعرفة المختلفة وخاصة فى الفقه والحديث والتفسير ، وذلك لضعف المستوى العلمى وقتذاك . ولعبد القادر بن شيخ ديوان شعر أيضاً جمع فيه بعض أصحابه قصائده بالإضافة إلى قصائد المدح التى وصلت إليه وعنوانه هو «الروض الأريض والفيض المستفيض»[3] .

وهكذا يتضح نشاط عبد القادر بن شيخ العلمى وسعة ثقافته ، وهى الثقافة الاسلامية السائدة حينذاك ، فكتبه تعبر عن إطلاعه الواسع فى الفقه والحديث والتفسير وغيرها من علوم الدين ، وكذلك السيرة والتصوف والتاريخ والأدب والشعر وذلك شأنه شأن مثقفى عصره .

وقد عكس كتابه « النور السافر عن أخبار القرن العاشر » هذه الثقافة الواسعة فى الحقيقة ، فلم يكن كتاب تراجم فحسب ، بل هو كما كان يأمل مؤلفه فى المقدمة فقال :

« وأرجو أن يكون هذا الكتاب كتاب حديث وفقه وتاريخ

---

(١) عبد القادر العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر : ص ٣٣٨ .

(٢) الزركلى : الإعلام ، ج ٤ ، ص ١٦٤ (والمقصود هنا كتاب إحياء علوم الدين للغزالى) .

(٣) عبد القادر العيدروس : نفس المرجع ص ٣٤٠ .

وأدب»[١] . وقد أوضح المؤلف فى المقدمة أيضاً — كعادة مؤرخى ذلك العهد — المنهج الذى سار عليه فى كتابه فذكر أنه جمع تراجم الشخصيات الهامة التى توفيت فى القرن العاشر (الهجرى) ، وذلك إلى جانب ذكر بعض الأحداث الهامة — وغير الهامة أيضاً — التى وقعت فى خلاله ، غير أنه سارع فى تواضع إلى الاعتراف بنواحى النقص فى كتابه فقال :

« ولم أستوعب كل ما وقع فى هذا القرن من الحوادث لعدم إطلاعى عليها ، وإنما ذكرت ما انتهى إليه علمى منها . وربما أن الذى تركته يكون أكثر مما ذكرته ، ولكن إذا كانت الغايات لا تدرك ، فاليسير منها لا يترك»[٢]. وقد رتب المؤلف تراجمه على حسب السنين وليس على حسب الحروف الأبجدية كما فعل البعض ، وكان ذكر السنه « سنه كذا » بمثابة عنوان الفصل ، ثم يذكر ترجمة بعد أخرى . وعلامة الانتقال بين هذا كله هى الكلمه التقليدية « وفيها . . . . » أى وحدث فى هذه السنة . ورغم اهتمامه مثل سائر أصحاب كتب التراجم — وكما أوضح فى مقدمته أيضاً — بجمع التراجم من شتى أنحاء العالم الإسلامى — وهذا واضح فى كتابه إلى حد كبير — فقد برز اهتمامه بوجه خاص بتراجم وحوادث وطنه الأصلى أى اليمن ، ثم بوطنه الثانى أى سلطنة كجرات الإسلامية فى الهند حيث كان يقيم ، وذلك بالإضافة إلى مكة والمدينة باعتبارهما موضع اهتمام المسلمين جميعاً . ومن ناحية أخرى ، لم يقف اهتمام المؤلف عند حد الأحداث الهامة التى وقعت فى الأماكن التى ذكرناها مثل سقوط السلطنة الطاهرية فى اليمن ودخول المماليك إليه ، أو مثل سقوط سلطنة المماليك على أيدى العثمانيين وبسط سيطرة الأخيرين على اليمن ، أو مثل الصراع بين سلاطين

(١ ، ٢) عبد القادر العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١ .

بجرات وسلاطين المغول، بل تعدى ذلك إلى ذكر النواحى الاجتماعية والظواهر الطبيعية والفلكية التى قد لا تلفت إليها أنظارنا نحن الآن ، بل والتى قد نستغرب أن توضع فى كتاب تاريخى ، وذلك مثل فيضان إحدى سيول اليمن ، أوحدوث زلزال هناك ، أو نشوب النيران فى إحدى المدن أو ارتفاع الأسعار وانتشار الأوبئة أو غير ذلك من الأحداث العادية اليومية . غير أن الاهتمام بهـــذه النواحى كان أمراً شائعاً بين سائر مؤرخى المدرسة الإسلامية ، ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى مفهوم التاريخ الواسع عند هؤلاء ، وإلى نقص وسائل التسجيل والتدوين الأخرى فى ذلك العصر ، مثل الصحف حالياً التى تقوم فى الواقع بتسجيل هذه النواحى . وكعادة الكثيرين وقتذاك أيضاً ، فقد بدأ عبد القادر كتابه بنبذة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وهجرته وغزواته استغرقت صفحات عدة ، ثم أنهاها بقوله « ولنرجع إلى ما نحن بصدده من التـــاريخ فنقول وبالله التوفيق »[١] ، ثم بدأ ذكر السنوات سنة بعد أخرى من سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) إلى سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) ، وفى نهاية الكتاب حرص المؤلف على ذكر تاريخ الانتهاء من تأليفه فقال : « وقع الفراغ من تأليف هذا التاريخ اللطيف فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الثانى سنة إثنى عشر بعد الألف (١٩ سبتمبر سنة ١٦٠٣ هـ) بأحمد أباد ، والحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافى مزيده ... »[٢] .

وأخيراً فلا شك أن هذا الكتاب الهام هو الذى فرض لمؤلفه مكاناً بارزاً بين مؤرخى المدرسة اليمنية فى تلك الفترة .

---

(١) عبد القادر العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ١٣ .

(١) نفس المرجع ، ص ٤٨٠ .

٢ ـ الشلى :

أما ثانى مجموعة أصحاب التراجم فهو محمد بن أبى بكر بن عبدالله بن على ابن عبد الله بن علوى الملقب جمال الدين أبو علوى الشلى الحضرمى . صاحب كتاب « السنا الباهر بتكميل النور السافر عن أخبار القرن العاشر » أى أنه هو الذى أكمل ـ كما يتضح من عنوان الكتاب ـ العمل الذى بدأه عبد القادر العيدروس سالف الذكر الذى اعترف فى مقدمة كتابه بالتقصير فى تغطية تراجم وأحداث ذلك القرن (العاشر الهجرى) فجاء الشلى ليقوم بهذه التغطية إلى حد كبير .

وهناك أوجه شبه كبير بين العيدروس والشلى تفسر إلى حد ما توسعنا فى ترجمة الأول ، فكلاهما من أسرة كبيرة معروفة فى جنوب اليمن هما أسرة العيدروس وأسرة علوى ، وكلاهما نشأ فى بيت علم ، وفى كنف أبوين من العلماء . كذلك تشابهت اهتماماتهما وطريقة تحصيلهما العلم ، وميلهما إلى التصوف وإقامتهما خارج اليمن ، ولاشك أن هذا التشابه يرجع إلى أنهما عاشا ظروفا علمية وتاريخية واحدة لتقاربهما من الناحية الزمنية إذ عاصر بعضهما بعضا لفترة قصيرة وسيتضح مدى هذا التشابه عند ترجمة حياة الشلى الذى اعتنى مثل العيدروس بكتابتها فى إحدى كتبه [1] .

وولد محمد بن أبى بكر الشلى فى حضرموت فى منتصف شعبان سنة ١٠٣٠ هـ (يوليو ١٦٢١) وتربى فى بيئة علمية خالصة ، إذ إلى جانب العديد من العلماء الذين ذكر أنه أخذ عنهم العلم وخالطهم منذ طفولته فى موطنه الأصلى حضرموت فقد أخذ عن والده « التفسير والحديث والتصوف

---

(١) أشار المحبى فى كتابه « خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر » ج ٣ ص ٣٣٦ ٣٣٨ ، أن الشلى ترجم لنفسه فى كتابه التاريخى « نفايس الدرر » فنقل عنه ، وأنه لم يعثر على ترجمة أخرى له . ولذلك اعتمدنا على المحبى لأنا لم نعثر على ترجمة أخرى للشلى فى مكان آخر حتى فى كتب التراجم الحديثة مثل كتاب الإعلام للزركلى كذلك لم نعثر على كتاب النفايس فى المكتبات العامة .

والنحو»[١].

وقد غادر الشلي موطنه الأصلي الى الهند ، ربما للتجارة كعادة كثير من أهالي جنوب اليمن ، وربما طلباً للعلم كما يفهم من حديثه ، إذ لم يهتم إلا بذكر العلماء الذين قابلهم وأخذ عنهم العلوم المختلفة . والافتراض الأخير هو مانميل إليه ، فقد انتقل الشلي بعد ذلك الى مكة وجاور بها طلباً للعلم، بل وبقي بها فاتخذهاموطناً له كما قال «واخترت الاستيطان فى الحرم الشريف»[٢] وذلك حتى وفاته فى آخر ذى الحجة سنة ١٠٩٣ هـ (٣٠ ديسمبر سنة ١٦٨٣ م) . ولا غرابة فى ذلك فى الحقيقة ، فقد كانت مكة — وكذلك المدينة المنورة — مركزاً علمياً هاماً طوال العصور الوسطى الاسلامية يجذب إليه طلاب العلم والعلماء من جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وذلك لكثرة من به من به من العلماء والكتب العلمية، ولكثرة الأوقاف المحبوسة البلدان الإسلامية المختلفة على العلم والعلماء به . وقد عاش الشلي حياة علمية بسيطة فى مكة ، إذ لازم العلماء منذ نزوله إليها ، واجتهد فى تحصيل العلم حتى أجازه — كما يقول — «غيرواحد من مشايخي بالإفتاءوالتدريس»[٣] . وقد قام الشلي بالتدريس فى المسجد الحرام بالفعل عند وفاة أحد مشايخه وذلك تحت إلحاح زملائه وطلابه إذ كان يفضل ملازمة العلماء كما جاء فى ترجمته فقال: «اشتغالى بالطلب على المشايخ اغتناماً لملازمتهم قبل حلول وفاتهم وذلك عندى أهم من التدريس»[٤]. وقد استمر فى هذه الوظيفة عدة أعوام حتى مرض مرضاً شديداً فانقطع عن التدريس ولزم داره ، فطلب منه جماعة من العلماء والطلاب التدريس فى منزله فقبل ذلك «تبركاً وطلباً للشفاء»[٥].

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، ج ٣ ، ص ٣٢٥

(٢) ، (٣) نفس المرجع ، ص ٣٣٧

(٤) ، (٥) نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٣٨

ولم يقف النشاط العلمى للشلى عند حد التدريس فى المسجد الحرام فقد قام بتأليف عدد من الكتب فى فروع المعرفة المختلفة ، منها ما هو صغير فى حجم الرسائل والكراريس ، ومنها ما هو فى مجلدات ضخمة مثل كتابيه فى التاريخ «ألسنا الباهر» و«نفايس الدرر» ويلاحظ بالنسبة لمؤلفات الشلى أنها فضلا عن تناولها لعلوم مختلفة ، فلم تكن جميعها تأليفاً أو ابتكاراً ، بل كان الكثير منها شروحاً وذيولا وتعليقات ، وذلك مثل باقى معاصريه لضعف المستوى العلمى العام فى تلك العصور الإسلامية المتأخرة ، وإن كان هذا لا يعنى التقليل من أهمية هذا النوع من التأليف ، إذ كان يتضح أحياناً لدى بعض علماء تلك العصور القدرة على الخلق والإبداع فيما يكتبونه من حواشى وتعليقات . غير أنه مما يلفت النظر عند الشلى اهتمامه بالنواحى العملية أيضاً ، فقد تعلق «بعلم الميقات والحساب» حتى برز فيهما وكتب عدة رسائل خاصة بها فيقول «وألفت رسالتين مطولتين فى علم الميقات بلا آلة ورسالة فى معرفة ظل الزوال كل يوم لعرض مكه ورسالة فى معرفة اتفاق المطالع واختلافهما ، ورسالة فى المنتظر ، ورسالة فى الاصطرلاب»[1] . وكان من بين أسباب اهتمام المسلمين بهذه الأمور هو تحديد مواعيد الصلوات الخمس .

وبالإضافة إلى هذا كله ، فقد كان للشلى اهتمامه بالتصوف ، حتى أنه كان يعطى البعض من معاصريه عهود التصوف ، أو على حد تعبيره عند ذكر أحد العلماء فقال «ولبس منى الخرقة»[2] أى خرقة التصوف .

وكيفما كان الأمر فلا شك فى أن الشلى كان أحد علماء عصره ، كما يتضح من إنتاجه العلمى ، وكما نلمس فى تقدير معاصريه من العلماء له واعتقادهم به ، ومنهم المحبى صاحب تراجم القرن الحادى عشر ، فقد قال عنه فى ترجمته :

---

(١) و (٢) المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، جـ ٣ ص ٣٢٧ .

« نزيل مكة المشرفة صاحب التاريخين اللذين أنقل عنهما كثيراً »[1] . ولا شك كذلك فى أن ما قام به كل من العيدروس والشلى من جهد فى سبيل جمع تراجم القرن العاشر إنما كان جهداً كبيراً كمل بعضه بعضاً من ناحية ، كما غطى جزءاً كبيراً من تراجم وأحداث هذا القرن من ناحية أخرى ، وذلك إلى جانب القلائل من علماء مصر والشام الذين اهتموا بهذا النوع من التأليف التاريخى[2] .

وقد سار الشلى على منهج العيدروس ، فرتب تراجمه وأحداثه سنة بعد أخرى من سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) إلى ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) . واشتمل كتاب الشلى على ما فات كتاب العيدروس من تراجم ، أو ما جاء مختصراً فيه منها ، وهى تتضمن كثيراً من العلماء والفقهاء والأمراء وغيرهم من أعيان البلاد العربية ، وكذلك من الهند والروم ، أى اشتملت على تراجم من هذه الجهات باعتبار أن أصحابها جزء من التراث الإسلامى العام . وقد أفاد الشلى كثيراً من إقامته فى مكة فى جمع مادة كتابه « السنا الباهر » إذ كان من السهل عليه الاتصال بالوفود العلمية المختلفة التى تأتى إلى مكة ، للحج أو طلباً للعلم ، كما أن مكة تقع فى داخل الوطن العربى وليست بعيداً عنه مثل الهند حيث كان يقيم العيدروس ، ولذلك جاءت مادته غزيرة شاملة وخاصة بالنسبة لتراجم المشرق العربى . واتضح هذا فى اهتمامه بترجمة حياة كثير من العلماء غير المشهورين ، وبذكر التفصيلات المطولة عنهم التى تعطى أبعاداً واسعة للحياة السياسية والاجتماعية فى ذلك القرن . فعلى سبيل المثال ذكر بين تراجم ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) وفاة أحد مشايخ دمياط وأخذ يفصل فى ذكر أهميته الدينية والعلمية حتى « اعتقده العوام

---

(١) المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .

(٢) يرجع إلى كتاب الدكتور محمد أنيس : «مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى» ، الجزء الخاص بمدرسة التراجم ، ص ٤٥ — ٥٠ .

«والخواص» . ثم اهتم بذكر اصطدام هذا الشيخ بالسلطان الغورى ومهاجمته له علناً لتراخيه فى إعداد السفن الحربية اللازمة لمحاربة البرتغاليين مما يعبر — أمامنا — عن موقف الأهالى فى مصر وقتذاك من تحول طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح واعتداء البرتغاليين على سفنهم وتجارتهم ، فقال :

«وحط يوماً على السلطان الغورى فى مجلس وعظه فى تركة للجهاد ، فأرسل فأرسل إليه .. ثم قال له ما حملك على أن تذكرنى بالنقائص بين العوام فقال حملنى على ذلك نصرة الدين فقال ما عندنا مراكب معدة لذلك فقال عمرلك مراكب أو استأجر وأغلظ عليه القول فاصفر لون السلطان وأمر له بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها ثم طال بينهما الكلام حتى بكى السلطان»[1] .

ولكن مما يوسف له أن كتاب «السنا الباهر» ما زال مخطوطاً رغم أهميته العلمية والتاريخية بالنسبة لتراثنا العربى ، ويوجد منه نسختان بدار الكتب المصرية بالقاهرة الأولى تحت رقم ١٥٨٦ ، والثانية تحت رقم ٢٠٣٣ ، والنسخة الثانية محفوظة بالخزانة التيمورية ، وهى أجمل خطاً ، وأحسن ترتيباً إذ قام الناسخ بعمل فهرسين للتراجم التى وردت بها ، إحداهما مرتب على السنين وثانيهما مرتب على حسب الحروف الأبجدية ، وهى تقع فى ٧٠١ صفحة ، أما الأولى فتقع فى ٨٥٣ صفحة .

٣ - بومخرمة

وهناك مؤرخ ثالث يجدر الإشارة إليه هنا هو أبو الطيب عبد الله ابن أحمد بن على بن أبى مخرمة (٨٧٠ — ٩٤٧هـ = ١٤٦٥ - ١٥٤٠ م) فهو «مؤرخ فقيه باحث من أهل عدن ، ولد وتوفى فيها ، وولى قضاءها»[2] .

---

(١) الشلى : السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر ، ص ١٦٥-١٦٨ .

(٢) الزركلى : الأعلام ، جـ٤ ، ص ٢٧ ، ولأبى مخرمة تراجم كثيرة فى الكتب المختلفة كما لدينا معلومات كثيرة عنه وليس موضوعها هنا .

لم نشأ أن نضعه ضمن المجموعة التى نقوم بدراستها لأنه ينتسب من حيث مؤلفاته التاريخية - إلى مؤرخى الفترة السابقة للفتح العثمانى رغم أنه عاش حتى شاهد هذا الفتح . ويشتهر بو مخرمة بكتابه المطبوع المسمى « تاريخ ثغر عدن » ، وهو من أهم الكتب التى تتناول تاريخ عدن وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية فى أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين لأنه تناولها بقلم شاهد عيان ، غير أن له كتاباً آخر لا يقل عن الأول أهمية وإن كان أقل منه شهرة ، وهو كتاب تراجم غير مطبوع ، ويسمى «قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر »[1] . وترجع أهمية الكتاب التاريخية إلى أنه المرجع الوحيد لتاريخ السنوات القليلة التى تلت سقوط السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى على أيدى المماليك فى سنة ٩٢٣ ﻫ (١٥١٧ م) ، فقد تتبع فيه أخبار بقايا الأسرة الطاهرية — آخر الأسر السنية التى حكمت فى اليمن — حتى انكمش نفوذها فى عدن نفسها قبيل مجىء العثمانيين إلى اليمن ، فألقى بذلك الأضـــواء اللازمة لتوضيح الاضطرابات التى وقعت هناك نتيجة الحروب التى ثارت بين المماليك والزيديين والطاهريين فى الفترة من ١٥١٧ حتى قبيل وصول العثمانيين إليه . وترجع أهمية الإشارة إلى هذا الكتاب وصاحبه هنا إلى أنه يؤكد ما ذهبنا إليه — وذلك عند المقارنة بينه وبين كتابى العيدروس والشلى — وهو أن مدرسة التاريخ اليمنى - وخاصة التراجم - لم تتأثر بالفتح العثمانى بل استمدت أصولها ومنهجها من المدرسة التاريخية الإسلامية العامة ، كما كانت امتداداً لها فى واقع الأمر .

أهم صفات هذه المجموعة

من هذا العرض السابق تتضح الصفات الخاصة بأصحاب كتب التراجم فى اليمن فى الفترة التى نتحدث عنها ، وهى تتلخص فيما يلى :

---

(١) مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٦٧ تاريخ وهى مصورة عن نسخة بنى جامع بالآستانة .

١ — أن أصحاب التراجم اليمنيين قد حافظوا على تقاليد أسلافهم من أبناء مدرسة التاريخ الاسلامية العامة وساروا على منوالهم .

٢ — أن هؤلاء اليمنيين — طبقاً لهذه التقاليد — لم يتقيدوا بالصفة الإقليمية أو المحلية فى كتاباتهم ، فشملت كتبهم تراجم من جميع أنحاء العالم العربى الإسلامى .

٣ — ساهم هؤلاء — نظراً لشمول تراجمهم وكتاباتهم — بنصيب هام فى تاريخ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) مما أثرى التراث العربى بمراجع أصلية خاصة بتاريخ هذا القرن .

(ب) مجموعة أصحاب كتب التاريخ العام

نظرة عامة :

أما الحديث عن أصحاب التاريخ العـــام اليمنيين فى الفترة التى نتناولها فيحتاج إلى إبراز عدة نقاط لتأكيدها ، وذلك قبل الحديث عن كل منهم بالتفصيل ، وهى تتلخص فى الآتى :

١ — أن هؤلاء أكثر عدداً وتنوعاً من أصحاب التراجم . كما أنهم أكثر تأثراً بأحداث الفتح العثمانى من أصحاب التراجم كما يتضح من كتاباتهم .

٢ — أن كتابات جميع هؤلاء المؤرخين ما زالت مبعثرة دون استثناء رغم أهميتها التاريخية ، ورغم أنها جزء من التراث الفكرى اليمنى .

٣ — التزم أصحاب هذه التواريخ أيضاً بالتقاليد العامة للتاريخ عند المسلمين رغم تنوع الاتجاهات واختلاف الاهتمامات .

٤ — اقتصر اهتمام هؤلاء المؤرخين على ذكر الأحداث اليمنية المحلية فقط ، فلم تخرج كتاباتهم عن ذلك إلا فيما يتعلق باليمن فحسب مثل ذكر بعض السلاطين العثمانيين وبعض أخبار دولتهم .

٥ — لا توجد تراجم لأغلب هؤلاء المؤرخين فى كتب تراجم

معاصريهم أو فى كتب من جاء بعدهم ، وربما يرجع هذا إلى ضعف إنتاج هؤلاء العلمى وقلته ، أو يرجع إلى عزلة اليمن نسبياً عن باقى بلدان المشرق العربى نظراً لظروفه الطبيعية والتاريخية الخاصة ، أو يرجع إلى إهمال التراث الثقافى اليمنى بوجه عام فى القرون التالية الحديثة ، وربما يرجع هذا إلى هذه العوامل مجتمعة . ولذلك فقد اعتمدنا فى ترجمة المؤرخين على ما بأيدينا من مؤلفاتهم التاريخية ، وعلى ما ذكروه عن أنفسهم فى هذه المؤلفات .

٦ ـــ بعض الكتب التاريخية فى هذه الفترة مجهولة المؤلف ، ويرجع هذا أحياناً إلى ضياع أغلفة هذه الكتب أو بعض أوراقها الأولى لسوء التداول أو لقدمها ، وأحياناً أخرى يرجع إلى إخفاء المؤرخين لأسمائهم خوفاً من بطش الحكومات القائمة ومطاردتها لمعارضيها أو لبعض الفئات أو الأقليات المحلية .

٧ ـــ اتسمت كتابات هؤلاء المؤرخين بالانحياز ووجهات النظر الخاصة كما ذكرنا من قبل ، فانحاز البعض إلى جانب العثمانيين ، وانحاز البعض الآخر إلى جانب الأئمة الزيديين ، وذلك رغم تفاوت درجات هذا الانحياز من مؤرخ إلى آخر ، إذ اتصف البعض بالاعتدال ، واتصف البعض الآخر بالمغالاة والشطط .

وعلى ضوء هذه النقاط يمكن التعرض لمؤرخى المدرسة اليمنية فنتناول أولا بمجموعة المنحازين إلى العثمانيين وثانياً بمجموعة المنحازين إلى الأئمة الزيديين .

أولا : المنحازون للحكم العثمانى

هناك بعض الأمور الخاصة بالمجموعة الأولى يمكن إبرازها مقدماً لفهم بعض صفات هذه المجموعة . ولإدراك الأسباب التى حدت بهم إلى هذا الموقف الخاص ، وهذه الأمور هى :

١ ـــ كان جميع أفراد هذه المجموعة من السنيين ، من أتباع المذهب

الشافعى وهو المذهب الشائع فى اليمن وخاصة فى الجنوب وفى تهامة . أو من أتباع المذهب الحنفى وهو المذهب الرسمى للدولة العثمانية. وكان للمذاهب الدينية تأثير كبير فى حياة الأفراد فى تلك القرون ، ولذلك كان للإختلاف المذهبى دور هام فى موقف هؤلاء المؤرخين من القوتين السياسيتين المتنازعتين فى اليمن

٢ — كان أغلب أفراد هـذه المجموعة يعملون فى خدمة العثمانيين فى اليمن ، إذا كانوا يتولون الوظائف الحكومية المختلفة هناك ، وكان لهذا أيضاً أثره فى إنحيازهم إلى جانب العثمانيين خوفا من طردهم من وظائفهم .

٣ — قام بعض هؤلاء المؤرخين بتأليف كتبهم بناء على تكليف بعض الولاة العثمانيين لهم ، ولذلك جاءت كتاباتهم فى صالح هؤلاء الولاة أو فى صالح العثمانيين بوجه عام ، وان تفاوتت درجة الإنحياز والميل من مؤرخ إلى آخر كما سنرى .

٤ — كان للظروف التاريخية التى أحاطت بامتداد سيطرة الزيديين — لأول مرة فى تاريخهم — إلى أقاليم اليمن المختلفة وخاصة فى الجنوب فى الفترة السابقه لمجىء العثمانيين إلى اليمن مباشرة ، كان لهذه الظروف أثر هام فى نفور كثير من اليمنيين من الحكم الزيدى ومعارضتهم له . فمن ناحية استعمل المطهر بن الإمام شرف الدين القسوة البالغة فى حروبه الأولى لفرض سيطرة أبيه . سواء ضد معارضيه من الزيديين أنفسهم فى مناطق الشمال ، أو ضد الطاهريين والمماليك فى مناطق الجنوب . ومن ناحية أخرى ، أساء بعض أبناء وعمال الإمام شرف الدين إستعمال سلطاتهم فى المناطق المختلفة مما دفع الأهالى فى بعض هذه المناطق إلى كرههم والثورة عليهم.

١ — ابن داعر

أما أول أبناء هذه المجموعة فهو ابن داعر صاحب كتاب « الفتوحات

المرادية فى الجهات اليمانية، (١) . ونحن لا نعرف شيئا عن مولد هذا المؤرخ أو وفاته أو حتى موطنه الأصلى ، أو مكان ولادته ونشأته الأولى إذ لم نعثر له على ترجمة فى كتب التراجم المعروفة . ولم يذكر بروكلمان أكثر مما نعرفه نحن من الأمور البسيطة التى أشار إليها المؤرخ بنفسه فى كتابه ، أو بالأحرى أكثر مما نستشفه من كتابه عند الإطلاع عليه . وبالإضافة إلى ذلك ، لم يشر ابن داعر إلى ترجمة له فى كتابه كما فعل بعض معاصريه ، فكل ما نستطيع أن نخرج به من هذا الكتاب هو أسمه بالكامل ، والأسباب التى دعته إلى تأليف كتابه ، ثم تحديد الفترة التى عاشها فى اليمن .

وكيفما كان الأمر فهو عبد الله بن صلاح بن داود بن على بن داعر ، وذلك كما قال فى أول كتابه ثم فى آخره (٢) . ويبدو أنه ولد فى بيئة علمية ، وإن كان غير واضح أين ولد وتربى بالتحديد ، فقد ذكر فى مقدمة كتابه أنه منذ طفولته وهو ولوع بمعرفة أخبار الأولين وبقراءة كتب التاريخ ، قديمها وحديثها حتى أطلع على الكثير منها فى فترة مبكرة من حياته . وقد قاده هذا الاطلاع الواسع على تاريخ وأحوال البلدان المختلفة إلى التعلق بالتجول ، وبزيارة هذه البلدان لمشاهدة آثارها وأحوال سكانها بنفسه ، فقاده هذا التجول إلى زيارة مصر والحجاز ، وعندما وصل إلى مكة وسمع وقرأ فيها الكثير عن اليمن من حيث ثروته الطبيعية وفضائله الكثيرة ،

---

(١) مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢١ ، وهى منقولة عن ميكروفيلم محفوظ بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، وهذا الميكروفيلم مصور عن الأصل المحفوظ بمكتبة راغب باشا باستامبول .

(٢) قال ابن داعر فى أول صفحة من كتابه بعد الحمد له وذكر الشهادتين «... وبعد فيقول العبد الضعيف ، الملتجى إلى عفو ربه اللطيف عبد الله بن صلاح .. » ، ثم كرر ذكر اسمه فى نهاية الكتاب عند ذكر الانتهاء من تأليف كتابه فقال « تأليف العبد الفقير المعترف بالتقصير عبد الله بن صلاح ... أقال الله عثاره ، وقبل توبته واستغفاره .. » ويلاحظ أنه يكتب اسمه فى المرتين بخط كبير واضح بالنسبة لباقى الكتابة .

ومن حيث كثرة الاضطرابات والفتن والحروب التى كان قد سمع بها أيضاً من قبل . واشتاق إلى زيارة هذا البلد حتى يتحقق بنفسه ما عرفه عنه من متناقضات . وهكذا يتضح تعلقه بالتاريخ منذ طفولته ، وأن هذا التعلق هو الذى قاده إلى زيارة اليمن ، وذلك دون أن يشير إلى أية معلومات أخرى خاصة به .

وقد اهتم ابن داعر كذلك فى المقدمة بتوضيح السبب الذى دفعه إلى تأليف كتابه ، وبتوضيح المنهج الذى اتبعه فى هذا الكتاب . فذكر أن الدافع للتأليف هو ما أصابه من دهشة من ناحية الهدوء الذى ساد اليمن عند زيارته له ، وذلك مما يرجع إلى تمتع اليمن وقتذاك بالعدل المرادى نسبة إلى السلطان العثمانى القائم عندئذ وهو السلطان مراد الثالث(١٥٧٤-١٥٩٥م)، وإلى تولى حسن باشا الوزير أمور اليمن عند قدوم ابن داعر إليه ، فهو الذى نجح فى بسط السيطرة العثمانية على أقاليم اليمن المختلفة . والذى نشر الهدوء والسلام بين ربوعه [1] . ولقد كان ابن داعر واضحاً فى تفسير دافعه إلى التأليف ، فقد ذكر كثيراً أنه أراد بكتابة تاريخ اليمن فى تلك الفترة خدمة الدولة العثمانية ، وتسجيل أعمال السلطان مراد الثالث وكذلك حسن باشا والى اليمن ، فقد كرر ذلك فى مناسبات شتى فى المقدمة وفى أول القسم الثانى من الكتاب عندما بدأ يؤرخ عهد السلطان مراد باشا الثالث ثم فى نهاية الكتاب ، وذلك بالإضافة إلى المواضع المختلفة من أجزاء الكتاب حيث توجد الفرصة المناسبة . وعبر عن ذلك صراحة عند شرح عنوان الكتاب فقال « وسميته بالفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية خدمت به سدة سلاطين الزمان وخاقان خواقين العصر والأوان . خليفة الله الأعظم فى عالم الانسان ... مولانا السلطان مراد خان ... » [2] .

---

(١) ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمنية (مخطوطة) م ١ص ٢ أ ، ٢ ب .

(٢) نفس المرجع : م ١ ، ص ٣ أ .

ويبدو أن أبن داعر كان قد دخل فى خدمة الوالى حسن باشا الوزير عقب وصوله إلى اليمن وإن لم يشر إلى ذلك صراحة ، إذ يتضح من ثنايا كتاباته أنه كان فى خدمته وأنه كان مقرباً إليه . كذلك لم يشر ابن داعر صراحة إلى أن حسن باشا هو الذى كلفه بتأليف هذا الكتاب بل ذكر إنه يهدف خدمة المصلحة العامة بتدوين محاسن وفضائل حسن باشا فقال« ولما كان شأن سيرته فى اليمن أمراً عظيما ، ومدخل ولايته فى أقطاره مدخلا كريماً ، أردنا أن نقيد ما سنح من لطائف سيرته . لتكتسب النفوس بسماعها ابتهاجاً وسروراً عميا »[1] ... وذلك عندما بدأ الجزء الخاص بولاية حسن باشا . ورغم ذلك فنرجح أن ابن داعر كان مكلفاً بتأليف هذا الكتاب ، أو على الأقل كان يهدف التقرب إلى هذا الوالى وإلى رجالات الدولة العثمانية صاحبة السيطرة والسلطة فى البلاد العربية وقتذاك . ويؤيد هذا الترجيح أن الولاة العثمانيين فى تلك الفترة — وكانت الدولة العثمانية ما زالت قوية مهابة حتى ذلك الحين — كانوا فى حاجة إلى من يدون أعمالهم فى ولاياتهم ليكون هذا بمثابة تقرير يرفع من شأنهم لدى السلاطين ، ورجالات الدولة . وربما كان هذا الأمر هو ما يفسر وجود النسخة الأصلية ، وهى بخط المؤلف —وهى بخط نسخ حسن— فى مكتبة أحد رجالات الدولة العثمانية فى أستانبول وهى مكتبة راغب باشا .

ولقد سار منهج ابن داعر فى كتابه موازياً — وخادماً — للغرض من تأليفه ، فقد قسم الكتاب إلى مقدمات وأبواب وفصول حسبما يحقق الهدف منه ، وذلك دون أن يخرج عن المألوف عند المؤرخين المسلمين السابقين ، وإن كان قد جمع فى كتابه بين أكثر من منهج مما كان شائعاً عند هؤلاء المؤرخين ، وإن كان قد حقق أكثر من غرض من وراء تأليف هذا

---

(١) ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية . م ٢ ، ٢٩٧ أ (واصل ابن داعر بعد ذلك مدحه لحسن باشا ثم أشار إلى تقسيم باقى الكتاب إلى أبواب وفصول لبيان أعمال حسن باشا فى اليمن) .

الكتاب بما جمعه فيه من مادة تاريخية غزيرة . فقد جمع ابن داعر هنا بين طريقة الكتب الإسلامية العامة التى تبدأ بذكر بدء الخليقة ثم التاريخ الإسلامى العام منذ ظهور الرسول (ص) حتى عهد المؤرخ ، وبين طريقة تخصيص الكتاب لتاريخ بلد معين هو اليمن . كذلك جمع ابن داعر فى كتابه بين أن يكون كتاباً عاماً لتاريخ اليمن منذ اقدم حتى عهد الوالى حسن باشا الوزير ، وبين أن يكون كتاباً خاصاً بتاريخ فترة هذا الوالى وعهد السلطان العثمانى القائم حينذاك . وبالإضافة إلى ذلك فقد جمع ابن داعر بين طريقتين فى ترتيب الأحداث ، طريقة تقسيمها إلى موضوعات وطريقة تقسيمها حسب الحوليات والترتيب الزمنى الذى قد يصل من ناحية ذكر التفصيلات إلى ما يشبه المذكرات اليومية ، وذلك عندما وصل إلى كتابة الأحداث التى عاصرها . ولقد جمع ابن داعر بين هذا كله فى براعة فائقة تجعلنا نصفه بأنه كان مؤرخاً محترفاً قديراً إن جاز هذا التعبير .

وقد أبان ابن داعر فى أول كتابه عن منهجه فقال « وقد رتبت هذا الكتاب على خمس مقدمات وثلاثة عشر باباً عدة سنى ولاية مولانا الوزير (حسن باشا) أبقاه الله إلى سنة وضع هذا التاريخ الشريف وخاتمه ، أما المقدمات الخمس مع ما اشتملت عليه من فصولها ففى ذكر من ملك اليمن من عهد آدم عليه السلام إلى زمن من ولى اليمن وتولاه من قبل مولانا السلطان مراد نصره الله تعالى بالولاية الحسنة والسيرة المستحسنة مولانا الوزير أبقاه الله ، بعد ذكر طرف من بدو (بده) الحق ليحسن التوصل بذلك إلى ذكر خلافه آدم أبى البشر عليه السلام ، ثم من بعده على الترتيب بأحسن نسق وأعجب نظام ، وبالله أستعين على الكمال والتمام ، والبلوغ إلى المقاصد والمرام ، إعلم . . .»[1] ولكن يلاحظ أن عدد أبواب الكتاب

---

(١) ابن داعر: الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية ، (مخطوطة) م ١ ، ص ١٣ .

قد زاد عن العدد الذى ذكره فى المقدمة . فقد وصل إلى أربع وعشرين باباً نظراً لطول عهد الوالى حسن باشا فى اليمن على غير ما توقعه ابن داعر عندما شرع فى وضع كتابه . ولقد خصص ابن داعر المقدمة الأولى «لذكر خلافة آدم أبى البشر عليه السلام ثم خلافه بنيه من بعده»[١] . أما المقدمة الثانية فهى خاصة بذكر انتشار أولاد نوح فى الأرض ثم ذكر من وصل منهم إلى اليمن ثم ملوك اليمن الأقدمين حتى ظهور الدعوة المحمدية[٢] . أما المقدمة الثالثة فهى خاصة بذكر سيرة الرسول بشكل مفصل إلى درجة كبيرة ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية[٣] . أما المقدمة الرابعة فهى خاصة بذكر الخلفاء العباسيين ومن جاء بعدهم حتى دخول اليمن تحت السيطرة العثمانية[٤] أما المقدمة الخامسة فهى خاصة بنشأة الدولة العثمانية ، وبذكر سلاطينها الواحد بعد الآخر حتى نهاية السلطان سليم الثانى والد السلطان مراد الثالث الذى يقصده ابن داعر فى كتابه[٥] وقد حرص المؤلف فى كل هذه المقدمات على الجمع بين التاريخ العام سواء قبل الإسلام أو بعده وبين تخصيص الحديث عن اليمن فى المراحل التاريخية المختلفة التى قسمها بين مقدماته . وكان ينتقل من سرد التاريخ العام إلى تخصيص الحديث عن اليمن بعبارات تقليدية مثل «أما ماعرض من الحوادث فى أرض اليمن» . أو «وأما أمر قطر اليمن وما عرض به من الأحوال . . .» . أما القسم الثانى من الكتاب — وهو فى مجلدين — فقد خصه للحديث عن عهد السلطان مراد الثالث بوجه عام وللحديث عن الوالى حسن باشا الوزير . وقد أطال كثيراً فى الجزء الخاص بهذا السلطان باعتبار أن تاريخ عهده هو الغرض

(١) ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية ، م ١ ص ٤ ب .

(٢) نفس المرجع : ص ٦ ا .

(٣) نفس المرجع : ص ٣١ ب .

(٤) نفس المرجع : ص ٥٤ ب .

(٥) نفس المرجع : ص ٢٠١ ب .

الرئيسى من الكتاب ، فأستغرق ذلك حوالى مائة وستين صفحة ، أما الجزء الخاص بحسن باشا فهو الذى قسمه إلى أبواب كما ذكرنا وهو الذى استغرق باقى الكتاب أى الجزء الأعظم منه .

ويعتبر كتاب ابن داعر من أهم الكتب التى تناولت تاريخ اليمن منذ القدم حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادى ، فقد جعله ابن داعر سجلا وافياً لهذا التاريخ الطويل ، إذ جمع فيه كل ما وجده فى كتب الأقدمين عن اليمن حتى أصبح فى حد ذاته مرجعاً وافياً لتاريخ اليمن فى عصوره المختلفة ، القديمة والوسيطة وأوائل الحديثة . وإلى جانب ذلك فيعتبر كتاب ابن داعر مرجعاً أصلياً بالنسبة لتاريخ اليمن فى ولاية حسن باشا الوزير (١٥٨٠ — ١٦٠٤ م) فقد أجاد فى تأليفه إجادة تامة ، فأعطانا صورة موسعة عن الحكم العثمانى هناك فى تلك الفترة . وإن كانت هذه الصورة قد وضعت من وجهة نظر منحازة ، وغلفت بإطار من المديح والثناء لحسن باشا ولأعماله جميعاً . وقد عبر هذا الكتاب عن سعة اطلاع صاحبه على كتب التاريخ وعلى غيرها ، كما يدل على أنه من البحاثة المدققين كما نشعر بذلك فى كثير من أجزاء كتابه[1]. ومن الإنصاف لابن داعر أن نشير إلى محاولاته للوقوف عند بعض الأحداث لتحليلها وتعليل أسبابها وخاصة أو سردها فقط . فقد ذكر على سبيل المثال أن تصرفات بعض الولاة العثمانيين السابقين فى اليمن هى التى كانت تدفع الأهالى إلى الثورة[2] . وذلك رغم تحيزه الواضح للعثمانيين ، ورغم أنه ذكر هذا ليبين كيف عمل حسن باشا على إزالة أسباب ثورة اليمنيين . كذلك أفاض ابن داعر فى تفسير كثرة الحروب بين القبائل اليمنية بعضها ببعض ، وأرجع ذلك إلى تعلق هذه القبائل بفكرة الأخذ بالثأر مهما طال العهد

---

(١) حرص ابن داعر فى كتابه (م ١ ، ص ١٣٦ ا) على ذكر أربعين حديثاً من أحاديث الرسول خاصة بأفضلية اليمن واليمنيين وذلك بأسانيدها ورواتها .

(٢) ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية (مخطوطة) م ٢ ص ٤٢٤ ب .

بها(١). وقد جاء هذا الكتاب الضخم في ٤٩٥ ورقة أى فى ٩٩٠ صفحة وذلك مما اضطر مكتبة جامعة القاهرة إلى تقسيمه إلى ثلاثة مجلدات مما ترتب عليه خطأ تقسيمه إلى جزأين ، وهو مكتوب بخط المؤلف وهو خط نسخ حسن . وكان مؤلفه يعمد إلى كتابة أسماء الأعلام أو عناوين المقدمات والأبواب والفصول وكذلك السنوات فى حجم كبير ظاهر ، وبخط جميل للغاية . وقد حرص ابن داعر فى طول كتابه على أسلوب السجع لإظهار قدرته على الكتابة كما نرجح ، ولتأكيد تمكنه من اللغة العربية ، وهذا مما يتضح من أسلوبه حقاً ، ومما يجعلنا نظن أنه كان كاتباً للإنشاء فى ديوان حسن باشا فى اليمن ، أو أنه كان خطيباً فى أحد مساجد صنعاء . وبالإضافة إلى هذه الدقة الشكلية ، فقد حرص ابن داعر على تقسيم مقدماته وأبوابه إلى فصول ، وكان كل فصل منها صغيراً محدوداً يتضمن موضوعا معينا أو حادثة بذاتها مما يدل على أنه كان ذا عقلية علمية منظمة .

ولكن كان لابن داعر بعض العيوب التى تنقص من قدر العمل الكبير الذى قام بإنجازه ، منها عدم ذكره للكتب التى أخذ عنها سواء فى مقدمته أو فى ثنايا كتابه كما فعل بعض معاصريه من المؤرخين ، ومنها إغراقه فى المدح والثناء للسلاطين العثمانيين وتمجيد أعمالهم ، وكذلك بالنسبة لحسن باشا ، إغراقاً يؤدى إلى ملل القارىء بل وإلى اشمئزازه أحياناً ، ومنها أيضاً حرصه الشديد على السجع مما كان يدعوه إلى الإطالة ، وإلى عدم ذكر الحقائق والحوادث مباشرة مما يزيد من صعوبة الرجوع إلى كتابه . ومنها أخيراً تعصبه الشديد للمذهب السنى — وذلك بالإضافة إلى تعصبه للعثمانيين — ولذلك نراه يرجع كل انتصار للعثمانيين على الزيديين أو على القبائل المتمردة على أنه انتصار للسنة على أهل الكفر والإلحاد والخارجين على الدين ، إلى

---

(١) ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية ، م ٣ ، ص ١٩٥ أ .

غير ذلك من الأوصاف والنعوت التى كان يلصقها بهم . وربما كانت هذه العيوب ترجع إلى طبيعة العصر نفسه الذى عاش فيه ابن داعر . غير أن هذا لايقعدنا عن إبرازها عنده ، فقد استطاع بعض معاصريه من المؤرخين أن يتخلصوا منها أو من بعضها على الأقل .

بقى هنا عدة نقاط تتعلق بحياة ابن داعر لم نتمكن من أن نصل إلى تحديد أو توضيح لها ، وهى المدة التى عاشها فى اليمن ، وتاريخ ومكان وفاته . فمن ناحية ، ذكر ابن داعر صراحة فى أول كتابه أنه — أثناء زياراته المتعددة للبلاد العربية — قد وصل إلى اليمن فى أول سنة ٩٩٥[١] هـ ، ولكنه لم يذكر — تصريحاً أو تلميحاً — متى غادر اليمن ، أو هل غادره ؟ أم اتخذه موطناً له حتى وفاته ؟ ومن ناحية ثانية ، أنهى ابن داعر تاريخه الطويل بوفاة السلطان مراد الثالث فى سنة ١٠٠٣ هـ[٢] (١٥٩٥م) إذ أخذ بعد ذكر هذه الوفاة يعدد رجالات دولته من صدور عظام وقضاة وأعيان وغيرهم ، ثم ذكر أبناءه . ومن ناحية ثالثة ، فقد أنهى كتابه بعد ذلك مباشرة بقوله : « كان الفراغ من تأليف هذا التاريخ فى اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة عشر من بعد الألف[٣] » ، ولكنه لم يذكر أين كان الفراغ منه . وهذه النواحى الثلاث لاتوضح إحدى النقاط التى أثرناها ، وإن كان من المعتقد أنه ظل فى اليمن ملازماً لحسن باشا الوزير حتى عزله من ولايته فى سنة ١٠١٣ هـ (١٦٠٤م) ، وربما بقى بعد ذلك فى اليمن فى خدمة من أتى بعد حسن باشا من الولاة العثمانيين . وقد جاء فى بطاقة هذا الكتاب المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية والمصورة مع المخطوط عبارة « المتوفى

---

(١) ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية (مخطوطة) م ٢١ ص ٢ ب .

(٢) نفس المرجع : م ٣ ص ١٣٧ ب .

(٣) نفس المرجع : م ٢ ص ١٤٥ ب .

سنة ١٠٠٧ هـ » (ثم شطبت) وهذا يتناقض مع قول المؤلف نفسه بأنه أنهى الكتاب فى سنة ١٠١٠هـ ، وبأنه هو الذى أنهى الكتاب بنفسه كما يتأكد من خط وأسلوب هذه النهاية ، فقد سار على نفس المنوال مثلما سار فى باقى أجزاء الكتاب . ومن الطريف أن نذكر أننا وجدنا فى خريطة حديثة لليمن مكاناً صغيراً يدعى « بيت داعر » وهو يقع بين مدينتى « خمر » شمالا و «عمران» جنوباً ، وربما كان هذا المكان هو موضع دفن ابن داعر بعد أن اتخذ اليمن موطناً له ، وربما أيضاً لاتوجد صلة قريبة أو بعيدة بين هذا المكان وبين مؤرخنا ابن داعر .

٢ — أحمد بن يوسف فيروز :

أما المؤرخ الثانى فى هذه المجموعة — أى المنحازة إلى العثمانيين — فهو أحمد بن يوسف بن محمد فيروز صاحب كتاب « مطالع النيران فى تاريخ اليمن »[١] . ونحن نجهل الكثير عن هذا المؤرخ ، إذ أننا لانعرف تاريخ ميلاده أو وفاته أو شيئا عن ترجمته ، كما لم نعثر له على ترجمة فى المراجع المختلفة وكل مابأيدينا هو كتابه المذكور . وهو لم يشر إلى نفسه فى كتابه بشىء ، ولم يذكر سوى اسمه على غلاف الكتاب ، ورغم ذلك فيمكن القول — كما نستدل من هذا الكتاب — بأن أحمد بن يوسف عاصر الفتح العثمانى لليمن فى سنة ١٥٣٨م الذى بدأ تاريخه بالحديث عنه ، وأنه عاش حتى سنة ١٥٦٥م وهى السنة التى توقف فيها تاريخه . كذلك يمكن القول بأن المؤرخ كان سنى المذهب متديناً أو من رجال الدين كما نظن ، وأنه كان من أهالى وسط الهضبة اليمنية من مدينة « اب » فيما نرجح ، إذ اهتم بعض الشىء بذكر أخبارها وبتاريخ الأسرة اليمنية صاحبة النفوذ بها حتى قضى عليها ، وذلك على يد محمود باشا آخر الولاة العثمانيين الذين ذكرهم فى تاريخه .

---

(١) مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٧ تاريخ وهى مصورة عن نسخة باريس .

وكتاب أحمد بن يوسف صغير الحجم إذ يقع فى ٦٠ ورقة[١] من الحجم الصغير أما كتاباته فهى مختصرة موجزة ، تخلو من كثير من التفصيلات التى حرص عليها الكثير من معاصريه . ويعد أحمد بن يوسف أكثر مؤرخى هذه الفترة اعتدالا وموضوعية ، فهو يشير إلى الأئمة الزيديين بألقابهم ، فيذكر كلمة « السيد » أو « السادة » قبل أسمائهم ، وهذه الكلمة هى لقب الأشراف فى اليمن . وعندما وجه النقد إلى الامام شرف الدين[٢] لم يوجه إليه السباب والشتائم ، بل أشار إلى تقصيره هو وعماله مما أدى إلى هزيمتهم أمام العثمانيين عندما بدأوا فتوحاتهم فى داخل اليمن[٣] ولقد ربط هذا المؤلف ببراعة بين نجاح العثمانيين فى مد سيطرتهم إلى داخل اليمن وبين ضعف الحكم الزيدى وقتذاك وتنازع أبناء الإمام شرف الدين فيما بينهم ، فقال « فساعد (مجىء) الباشا المذكور (الوالى اويس باشا) وقوع المشاجرة بين الإمام شرف الدين وولده المطهر فضعف أمر الإمام بسبب الاختلاف وهان أمرهم »[٤] . كذلك لم يطنب أحمد بن يوسف فى مدح العثمانيين ، بل كان يوجز فى ذلك إيجازاً واضحاً ، كما كان يشير إلى أعمالهم

---

(١) أى فى ٦٠ صفحة ؛ وعادة ترقيم الأوراق أو الصفحات عادة حديثة لم تكن مألوفة فى ذلك الوقت ، أما ترقيم هذه المخطوطات فقد كان فيما بعد على يد مالكيها أو فى المكتبات .

(٢) كان للامام شرف الدين عند مجىء العثمانيين إلى اليمن سنة ١٥٣٨ السيطرة على جميع أقاليمه الداخلية ، ولم يكن للعثمانيين سوى عدن وزبيد وماحولهما من المناطق التهامية . وقد ظل هذا الوضع عدة سنوات حتى وقع الصدام بين الطرفين فمد العثمانيين سيطرتهم إلى صعدة شمالا وأخضعوا الإمام وأبناءه لسيادتهم .

(٣) ذكر فى كتابه (٢٠ ب) أن الإمام كان قد أهمل مراقبة عماله مما ساعد على فسادهم وذلك لاشتغال الإمام بنشر العلم ومراجعة أهله وعدم التفاته إلى البحث عن الولاة ثم علق على ذلك بأنه لا ينبغى على الحكام الانصراف بالعبادة عن رعاية أمور الرعية إذ أن الاهتمام بشؤون الرعية من أفضل العبادات .

(٤) أحمد بن يوسف فيروز فى مطالع النيران (مخطوطة) ص ١٥ .

الحسنة دون تهليل أو صخب ، أما سيآتهم التى ذكرها باقى معاصريه فكان يكتفى بالإشارة إليها فى إيجاز لايخل من وضوح الحدث التاريخى ذاته .

وقد مال أحمد بن يوسف إلى أسلوب السرد القصصى فى تأليف تاريخه وهو أحد أساليب الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين السابقين . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد برز لديه بشكل واضح ميله إلى الوعظ والإرشاد أى أنه اتخذ التاريخ وسيلة للوعظ والاعتبار . ورغم أن هذا الفهم للتاريخ كان الفهم السائد لدى المؤرخين المسلمين بوجه عام ، فقد ظهر عند أحمد بن يوسف بشكل كبير ، إذ أكثر من الوقوف عند الأحداث لتحليلها والتعليق عليها واستخراج العبر منها مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كذلك كان يترك السرد التاريخى ليروى بعض قصص الماضى أو سير الأنبياء والصالحين لتوضيح وتأكيد بعض المعانى الخاصة التى يرمى إلى شرحها ، وكان بعض هذه القصص يستغرق أحياناً عدة صفحات(١) . وقد رتب المؤرخ الأحداث على حسب ترتيب الولاة مع الاهتمام بالتوقيت وذكر التواريخ لضبط وقوع الأحداث، وذلك دون أن يخرج على الأسلوب العام الذى اتبعه فى كتابه وهو أسلوب السرد القصصى كما ذكرنا . وإلى جانب الاعتدال والموضوعية التى اتصف بها هذا المؤرخ ، فهو يتصف أيضاً بالدقة والحذر فى جمع الأخبار وفى ذكر اللازم منها ، أو بالأحرى كان هذا المؤرخ واعياً بما حوله من أحداث ، دقيقاً حذراً فيما يدونه فى تاريخه . وهذه الدقة وهذا الحذر هما اللذان يدفعان من يرجع إلى كتاب أحمد بن يوسف الى الاعتقاد بأنه كان زيدياً وأنه كان مضطراً إلى ممالأة العثمانيين للظروف السياسية المحيطة به وقتذاك .

وقد أشار أحمد بن يوسف إلى منهجه فى المقدمة ، فسرد احدى القصص القصيرة ليدلل بها على طريقته فى جمع مادة كتابه وفى تدوينها فقال « فبينما

---

(١) استغرقت إحدى هذه القصص أكثر من خمس صفحات من المخطوطة ، من ١٨ م — ٢١ م .

أنا فى جمع المسودات والتقاط الماضى وانتظار ماهو آت ، أهم مرة وأعرض أخرى لكثرة مايعرض للمؤرخين من الأذية ، وحذرا من الزلل فى الأمور النقلية ، وخوفاً من التقصير بحقوق من على مراعات (مراعاة) حقه ، إذ ورد ... »[١] ثم يبدأ فى رواية القصة .

وقد أدلى أحمـــد بن يوسف كذلك بدلوه فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية مثل باقى مؤرخى المدرسة الإسلامية ، فاهتم بذكر المنشآت العمرانية التى قام بها بعض الولاة أو العمال ، كما اهتم بتوضيح أحوال الأهالى ، وما يصيبهم من خير أو شر نتيجة عوامل طبيعية ، أو على يد الساسة والحكام . وقد أجاد فى وصف انتشار الجراد فى اليمن فى إحدى السنوات فى أسلوب سهل بسيط فقال « لحق الناس فى عام اثنين وستين وتسعمائة شدة عظيمة وقحط عام ، فانتقل أهل المشرق إلى المغرب واليمن الأسفل بعد أن أكلوا الشجر ومات أكثرهم جزعاً ووباء ... وكان يحمل فى النعش الواحد فى مدينة صنعا من الأربعة رجال إلى الخمسة من كثرة الأموات ، ومات من أهل الجبال بمدينة اب نحو خمسة آلاف نفر ومن أهلها نحو اربعة آلاف نفر ، واستمر ذلك القحط أكثر من سنة ، وخلت قرا (قرى) كثيرة من أهل السواد ... وسبب ذلك حدوث الجراد فى شهر رجب سنة ٩٦١ فإنها طال مكثها فى اليمن من رجب إلى رجب الآخر سنة ٩٦٢ ، فأكلت الثمار والأشجار حتى يبست الأرض وعدم العشب ولم تجد البهايم ما تأكل . . بل خاف الناس على أنفسهم لأنها دخلت على الناس بيوتهم ومساجدهم فسبحان المدبر الحكيم ثم بعد ذلك صرف الله الجراد وأخصبت البلاد ورخصت الأسعار ولله تعالى فى خلقه تدبير »[٢] .

(١) أحمد بن يوسف فيروز : مطالع النيران (مخطوط) ص ٢ ب — ٢ أ .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٢ أ — ٣٢ ب .

وأخيراً ، فلقد أعطانا أحمد بن يوسف فى كتابه الصغير أبعاداً سياسية واجتماعية لتاريخ اليمن فى فترة محدودة من تاريخه الحديث ، وذلك فى إعتدال وموضوعية واضحين .

٣ - محمد بن يحيى المطيب :

أما المؤرخ الثالث فهو محمد بن يحي المطيب الحنفى الزبيدى صاحب كتاب « بلوغ المرام فى تاريخ دولة مولانا بهرام »[١]. ويتشابه هذا المؤرخ مع أحمد بن يوسف فيروز سالف الذكر فى أننا لا نعرف عنه شيئاً سوى القليل الذى قدمه بنفسه فى كتابه . فنحن لا نعرف تاريخ ميلاده أو وفاته أو حتى وظيفته ، كما لم نعثر له على ترجمة فى إحدى الكتب سوى إشارة مقتضبة إلى أسمه وعنوان كتابه . فقط ، وذلك إلى جانب عبارة قصيرة هى « مؤرخ من أهل زبيد »[٢] . كذلك لم يشر المطيب إلى نفسه سوى بجملة صغيرة هى « خادم العلم الشريف » ، التى وردت إلى جانب إسمه فى أول كتابه . ورغم ذلك فيستدل من أسمه الذى حرص على ذكره كاملا فى بداية الكتاب ، أنه كان سنياً حنفى المذهب ، وأنه من أهالى زبيد ، كما نرجح أنه كان إماماً أو خطيباً أو واعظاً بمسجد زبيد الكبير ، أو بوجه عام من رجال الدين المحترفين فى زبيد ، وذلك لأنه كان يكثر من ذكر العلماء والفقهاء والأولياء الذين فى هذه المدينة ، كما كان يكثر من ذكر الأموال والصدقات التى يرسلها بهرام باشا إلى علمائها لتوزيعها على الفقهاء بها فى المواسم والأعياد .

ومن ناحية أخرى يختلف المطيب عن المؤرخ السابق أحمد بن يوسف فى انحياز المطيب الواضح إلى العثمانيين وعدم اعتداله ، فهو يعتبر نموذجاً بارزاً لهؤلاء العلماء أو المؤرخين الذين يكلفون بكتابة أحداث فترة وال

(١) مخطوطه مصورة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب تحت رقم ٢٢٨٩ تاريخ وهى مصورة عن نسخة باريس . وبهرام باشا هو أحد ولاة اليمن العثمانيين (٩٧٧ — ٩٨٣هـ — ١٥٧٠ — ١٥٧٦م) .

(٢) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، ج ١٢ ، ص ١١١ .

معين او سلطان بذاته لقاء أجر أو هدية أو للحصول على وظيفة من وظائف الدولة . وقد عكس منهجه الغرض من تأليف الكتاب ، فقد قسمه إلى سبعة أبواب هى عدة سنى ولاية بهرام باشا الذى أرخ له ، إذا جعل كل باب يشمل أحداث إحدى سنوات ولايته السبع وذلك مع مقدمة للدلالة على أهمية الروم — أى العثمانيين — وعدلهم ، وخاتمه — وسماها « تتمه » — وهى « تشتمل على جمل من محاسن مولانا صاحب السعادة » — أى بهرام باشا — وهى تشبه ما يمكن أن نسميه حالياً بتقييم عام لشخصية وولاية بهرام باشا .

ووصف المطيب كتابه وطريقة تقسيمه فى المقدمة فقال بعد البسملة والحمد له « فهذا كتاب صغير الحجم بديع النظم عزيز الرسم قريب الفهم ، جمعت فيه تاريخ بعض أيام الدولة العادلة العثمانية باليمن المعمور وما وقع به فى تلك الأيام من الفتح المشهور . . فى عهد ملانا السلطان سليم (الثانى) وعلى يد الباشا بهرام . . ألفته على ترتيب لطيف وترصيف صنيف وجعلت مدار ضبطه على السنين ليسهل حفظه على قارئه كل حين ورتبته على مقدمة وتتمة تلى ستة أبواب . قاصداً بذلك التقريب على الجماعة الطلاب وسميته بلوغ المرام فى تاريخ دولة مولانا الباشا بهرام مستعيناً على ذلك بالكريم الوهاب »[١] .

وقد جمع كتاب المطيب — فيما نرى — بين متناقضين ، فهو يشبه التقارير السنوية التى تهتم حكومات الولايات بإصدارها للإعلان عن أعمالها ومنجزاتها ، كما أنه يمثل فى الوقت نفسه كتاباً تاريخياً سليما من ناحية المنهج ومن ناحية المادة التاريخية وإن شابهما التحيز الواضح للعثمانيين . وقد سبق

---

(١) محمد بن يحيى المطيب : بلوغ المرام فى تاريخ دولة مولانا بهرام (مخطوطة) ص ا ب — ص ب .

أن ذكرنا أن ولاة الأقاليم المختلفة كانوا يهتمون بتدوين أعمالهم وإبرازها لنيل رضاء السلاطين وللحصول على الوظائف الكبيرة ، ولذلك اهتم المطيب فى كتابه بإظهار كل صغيرة أو كبيرة من أعمال بهرام باشا العسكرية والإدارية والمالية بل والخيرية ، مع إحاطتها بهالة من المبالغة . وترتب على هذا من جانب المطيب أن اتضح فى كتابه ظاهرتين بارزتين ، أولهما أنه كرر فى حولياته — المرتبة فى الأبواب المتتالية — الإشارة إلى أعمال بذاتها كان بهرام باشا يحرص على القيام بها فى مواعيدها المحددة ، وثانيهما أنه كان يكرر عبارة تقليدية لوصف كل نصر يحرزه بهرام باشا على اليمنيين ، أو كل نجاح فى إخماد ثوراتهم ، بأنه من أعمال أو فتوحات بهرام باشا الخاصة الذى لم يسبقه إليه أحد .

وكانت الظروف التاريخية التى أتى فيها بهرام باشا إلى اليمن تساعده على القيام ببعض الأعمال العسكرية لإعادة بعض أقاليمه إلى السيطرة العثمانية ، أو لإخضاع المتمردين فى الأقاليم الخاضعة لهذه السيطرة . فقد تولى بهرام باشا أمور اليمن عقب حملة سنان باشا الذى اشتهر بأنه الفاتح الثانى لليمن ، ولذلك كان على بهرام باشا أن يواصل أعمال سنان العسكرية والإدارية لتثبيت وتدعيم السيطرة العثمانية وذلك بعد أن كان الأئمة الزيديون قد نجحوا فى إخراج العثمانيين من جميع أقاليم اليمن ما عدا منطقة « زبيد » وما حولها من مناطق تهامه .

غير أن هذا كله لا يقلل من أهمية كتاب المطيب ، أو من الجهد الذى بذله فى جمع مادته التاريخية ، أو حتى من شأن المطيب نفسه بين مؤرخى تلك الفترة التى نخصص الحديث عنها . فقد نجح هذا المؤرخ فى إعطائنا صورة تفصيلية عميقة للحكم العثمانى فى اليمن فى القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد من خلال قطاع زمنى محدود هى فترة ولاية بهرام باشا ، وبالأحرى

من خلال الاهتمام بذكر التفاصيل الدقيقة الخاصة بحكم هذا الوالى ، إذ تناول المطيب فى إسهاب النواحى الإدارية والمالية والاجتماعية فى تلك الفترة الطويلة من خلال حديثه عن إصلاحات بهرام باشا فى هذه النواحى ، وجهوده فى سبيل محاربة الفساد فى اليمن ، وتعديله للأوضاع المعوجة الناشئة عن أخطاء بعض الولاة والعمال السابقين . حقيقة أن المطلع الحديث على كتاب المطيب يحتاج إلى نظرة واعية فاحصة لاستخلاص المادة التاريخية من بين سطوره لأن المطيب غلف مادة كتابه بغلاف سميك من المديح والثناء لبهرام باشا وأعماله ، غير أننا نرى أن كل من يعمل فى حقل التاريخ والتأريخ فى حاجة إلى هذه النظرة الواعية الفاحصة عند الرجوع إلى المصادر التاريخية الأصلية بصفة عامة .

وكتاب المطيب من الكتب الصغيرة الحجم ، فهو يقع فى ٥٧ ورقة من القطع الصغير وقد مال المطيب فى كتابته إلى السجع وإلى المحسنات اللفظية مع ذكر أبيات من الشعر من شعره أو من شعر غيره ، إلى جانب الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهى جميعها من الصور الفنية لأسلوب الكتابة عند المؤرخين المسلمين السابقين .

٤ — الموزعى :

أما رابع هؤلاء المؤرخين فهو القاضى شمس الدين عبد الصمد بن اسماعيل ابن عبد الصمد الشهير بالموزعى صاحب كتاب « الإحسان فى دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان»[1] وهذا المؤرخ مثل سابقيه لم نعثر له على ترجمة لحياته فى إحدى الكتب المعروفة ، كما نجهل الكثير عنه سوى ما أشار إليه بنفسه فى كتابه . وقد أفاض الموزعى فى الحديث عن نفسه بعض الشىء بالنسبة لفيروز والمطيب ، ولكنه رغم ذلك لم يشر إلى تاريخ ميلاده كما فعل

(١) مخطوطة مصورة بدار الكتب تحت رقم ٢٣٧٩ ، وهى منقولة عن نسخة الميكروفيلم المحفوظ بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، وهو مصور من مكتبة على أميرى باستانبول .

صاحبا كتب التراجم سالفي الذكر . غير أننا سنحاول معرفة بعض المعلومات الخاصة به سواء مما ذكره مباشرة . أو مما يمكن أن نستشفه من كتابه .

ترجع شهرة هذا المؤرخ بالموزعى فيما نرجح إلى أنه كان أصلا من مدينة « موزع » ، وهى مدينة تهامية تقع إلى الجنوب من « زبيد » ، وإلى الغرب من ميناء « مخا » . أما موطن إقامته هو ووالده وأسرته فقد كانت مدينة « تعز » كما أشار بنفسه فى أول كتابه وعندما ترجم حياة والده عند وفاته . فمن ناحية فقد أشار إلى وظيفته وإلى موطن إقامته عند ذكر إسمه على غلاف الكتاب فى عبارة مقتضية هى : « نائب الشريعة فى تعز » . ومن ناحية أخرى، كرر الإشارة إلى هاتين النقطتين عندما مات والده ، فقد قال بعد ذكر تاريخ الوفاة « وكان المشار إليه رحمه الله من أجل العلماء معرفة وفضلا وأكملهم ذكاء وعقلا ، وكانت وظيفته التدريس فى الجامع المظفرى والمدرسة الطاهرية بتعز ، وكذلك منصب النيابة الشرعية فى مجلس الشرع الشريف أعزه الله بها . فأقام المشار إليه رحمه الله تعالى فى وظيفة التدريس للعلم الشريف على مذهب الإمام محمد بن ادريس وفى خدمة الشرع الشريف والمحكمة الشرعية نحواً من خمسة وأربعين سنة وحماه سبحانه وتعالى فى مدة إقامته من كل هول ومحنة وذلك لحسن سيرته وإتباعه الحق فى أقضيته ، ثم لما توفى أتم (كذا)[١] ولده الفقير المعترف بالتقصير عوضاً عن والده فى (وظيفة) التدريس المذكورة و(؟)[٢] أيضاً بنيابة القضاء الشرعى فى مدينة تعز كما كان عليه والدى .. »[٣] وهكذا يتضح أنه كان من سكان تعز ، وأنه كان يشغل

(١) هكذا وردت فى الأصل ، ونرجح أنها : قام أو أقيم بمعنى عين .

(٢) هنا ورد لفظ لم نستطع قراءته وإن كانت تشبه كلمة مكث ، ولكن معنى الجملة مفهوم .

(٣) الموزعى : الإحسان فى دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (مخطوطة) ص ٤٧ ا — ٤٧ ب .

وظيفة دينية كبيرة بها ورثها عن أبيه ، وإنه بالإضافة إلى ذلك كان من أسرة علمية مخالطاً للعلماء ، وبالتالى كان يعتبر من علية القوم المرتبطين بالطبقة الحاكمة وقتذاك وهم العثمانيين ، وهذا بدوره من بين الأسباب التى تفسر انحياز مؤرخنا إليهم .

وقد اتضح من البداية كذلك غرض الموزعى من تأليف كتابه . ومنهجه فى هذا الكتاب إذ أشار إلى هذا كله بإسهاب فى خلال كتابه بما فى ذلك المقدمة . فمن ناحية عكس عنوان الكتاب وجهة نظر الموزعى فى الفتح العثمانى لليمن ، أو بمعنى آخر شرح موقفة السياسى من القوى المتنازعة هناك . وأكد وجهة النظر هذه وعبر عنها فى المقدمة . فأشار إلى أن الله قد استجاب لدعوة اليمنيين فأرسل إليهم العثمانيين لإنقاذهم من الفوضى والاضطرابات التى سادت اليمن تحت حكم الأئمة الزيديين عندما بسطوا سيطرتهم عليه قبيل مجىء العثمانيين إليه ، ولذلك رأى رداً للجميل أن يكتب تاريخ هؤلاء العثمانيين وولايتهم فى اليمن « ليكون تبصرة للمتأخرين وتذكرة للمعاصرين فجعلت هذه الرسالة المجردة عن البسط والإطالة مبيناً فيها ذكر من وصل محافظاً لإقليم اليمن من ابتداء دخوله فى المملكة العثمانية وفى أى زمن متعرضاً أيضاً لذكر من (ولى)[١] مدينة تعز من الحكام أولى الكرامة والعز لكونها الوطن والدويرة والسكن ذاكراً بعض مناقبهم الحسنة ... وقصدى فى ذلك تأييد الدعا الصالح فى صحايفهم ولينطلق بالدعا لهم القلب واللسان والقلم والرق والبيان مكافآت (مكافأة) لهم بدفعهم عنا حوادث الجور والعدوان وجزا لهم بما صنعوا إلى العباد من الخير والبر والإحسان ، وأسأل الله الكريم الوهاب أن يكتب لى فى ذلك الأجر والثواب... ولنستفتح الكتاب.. »[٢].

---

(١) ناقصة فى الأصل .

(٢) الموزعى : الإحسان فى دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (مخطوطة) ص ٢ ا — ٢ ب .

والجدير بالذكر هو أن مؤرخنا ورث مشروع كتابه عن والده كما ورث غير ذلك من الأمور ، فقد قال فى المقدمة « وقد كان والدى رحمه الله تعالى شرع فى تأليف رسالة فيما ذكر[١] وسيلة ، لكن وافاه الأجل على أول الشروع فى العمل فأدرجت ما قد كان شرع فيه فى هذا الكتاب ببركاته وليكون له حصة فى الأجر والثواب ... »[٢] .

ويمكن أن نقسم كتاب الموزعى إلى ثلاثة أقسام ، أولها صغير الحجم لا يتعدى بضع صفحات ، وهو أشبه بقائمة بأسماء السلاطين العثمانيين منذ السلطان عثمان الأول (١٢٩٠ — ١٣٢٦ م) إلى السلطان عثمان الثانى (١٦١٨ — ١٦٢٢ م) ، ويذكر مع اسم كل منهم مولده ووفاته وسنة توليه العرش ومدة ولايته الحكم ، ويمثل هذا القسم تمهيداً للقسمين الآخرين أى لصلب الكتاب ، أو مدخلا لكتابه ، فقد أنهاه بقوله « ثم لنشرع فى ذكر دخول مملكت (مملكة) اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان وفى أى زمن فنقول .. »[٣] .

أما القسم الثانى فقد تتبع فيه الحديث عن ولاة اليمن والياً بعد الآخر حتى وصل إلى ولاية محمد باشا (١٦١٦ — ١٦٢١ م) الذى توقف عنده كتابة ، وذلك بعد أن اهتم بدراسة فتح العثمانيين لليمن بشىء من التوسع منذ أن اعترف المماليك فى اليمن بالسيادة العثمانية الإسمية عليهم فى سنة ١٥١٧ م حتى نجاح العثمانيين فى فرض سيطرتهم الفعلية هناك فى سنة ١٥٣٨ م .

أما القسم الثالث فهو خاص بتاريخ مدينة « تعز » وجنوب اليمن بوجه عام فى فترة ولاية محمود باشا سالف الذكر ، أو قبل ذلك بقليل عندما تولى محمد ابن سنان باشا حكم تعز . ويصعب فى الحقيقة الفصل بين القسم الثانى والثالث

---

(١) يقصد الذى سبق ذكره وهو ما سبق أن أشرنا إليه من ناحية غرض الموزعى نفسه من وراء تأليف الكتاب .

(٢) الموزعى : الإحسان فى دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (مخطوطة) ص٢ ب .

(٣) نفس المرجع : ص ٥ ب .

لتداخلهما إلى حد كبير ، ولوضوح اهتمام الموزعى بأخبار تعز والجنوب فى جميع أجزاء الكتاب منذ بدايته . ويرجع اهتمام الموزعى بأخبار تعز والجنوب إلى أنه كان من أهالى هذه المدينة كما ذكرنا فى المقدمة ، وإلى علاقته الوطيدة بأميرها محمد بن سنان باشا[1] الذى أصبح كتخدا والى اليمن لعدة سنوات . وقد أشار الموزعى صراحة إلى هذه العلاقة فقال « .. وكنت ممن شمله بره وإنعامه وفضله وإكرامه ، فوجب على أن أجازيه بالدعاء المستجاب ، وأخلد فضله ومدحه فى كل كتاب ، فلقد جلت القلوب على حب من أحسن إليها . ثم لما ارتقى حفظه الله تعالى إلى رتبة الكتخدا امتدحته أيضاً بقصيدة تشتمل على الدعا نطق بها الجنان قبل اللسان ، وأمنت عند نقلها جميع الجوارح والأنامل والبنان ، فأرسلتها إليه إلى محروس صنعا فقابلها بفضله بالقبول وأنعم على ناظمها بغاية الأمل والسول »[2].

وقد تأثر تفكير الموزعى وأسلوبه دون شك بعدة عوامل منها : مذهبه السنى ، ووظيفته الدينية ، وعلاقته بالحكام والمسئولين . وانعكس هذا كله فى تاريخه ، فهو على سبيل المثال يهاجم الأئمة الزيديين لا لأنهم خارجين على طاعة الدولة العثمانية فحسب ، بل لأنهم خارجين على مذهب الجماعة — أى السنة — أيضاً ، ولذلك نعتهم بالبغاة الخارجين على الملة ، أهل الإلحاد والكفر إلى غير ذلك . بل وكان ينظر إلى الحرب بين العثمانيين وبين هؤلاء الأئمة ، وكأنها حرب دينية تشترك فيها الملائكة — دون أن يراهم أحد —

(١) كان سنان باشا أحد ولاة اليمن السابقين فى المدة من ١٦٠٤ — ١٦٠٧ م واشتهر باسم سنان باشا الكيخيا . لأنه كان كتخدا حسن باشا الوزير أثناء مدة ولايته لليمن الطويلة (١٥٨٠ — ١٦٠٤) ومن هنا اكتسب شهرته فى اليمن هو وابنه محمد ، وهو ليس سنان باشا الوزير الأول الذى قاد حملة كبيرة إلى اليمن فى ١٥٦٩ — ١٥٧١ م .

(٢) الموزعى : الإحسان فى دخول اليمن (مخطوطة ص ٥٣ ب — ٥٤ ا) وذكر بعد ذلك أن الذى قرأ قصيدته أمام محمد بن سنان باشا فى صنعا هو نائب الشريعة بها والمفتى بها أيضاً .

لنصرة الحق والدين ، واتضح هذا فى تفسيره لفشل جيوش المطهر بن الإمام شرف الدين فى الاستيلاء على زبيد بعد أن كان قد أخرج العثمانيين من جميع أقاليم اليمن ، فقال « وسمعت حينئذ من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمى عليهم (على جيوش المطهر) من غير أن (يرى) شخص ، فنصر الله العساكر السلطانية على الطوائف الكثيرة الباشية وقتل من الزيدية ما لا يعلم عددهم إلا الله ، وغنمت العساكر أحمالهم وأثقالهم ، وولوا على أدبارهم نفوراً ، ولم يقدموا بعد ذلك زبيد كأنما عليها حصن من حديد من عند الله الملك المجيد »[1]. وتكررت مثل هذه الأقوال فى مواضع كثيرة مما يعبر عن المستوى الفكرى والثقافى فى ذلك الوقت ، وخاصة لأن الموزعى كان ذا مرتبة كبيرة من حيث الثقافة أو الوظيفة ، وكان ضعف المستوى الثقافى والفكرى حينذاك أمراً سائداً بين اليمنيين والعثمانيين على السواء . فقد روى الموزعى قصة أخرى مشابهة للقصة السابقة ، خاصة بعودة العثمانيين إلى تعز واستيلائهم عليها من أيدى الزيديين ، بل وأضاف أن عثمان باشا طلب رأى أحد المشايخ الصالحين المعتكفين فى أحد المساجد القريبة من تعز إلى جانب بركته ودعائه إلى الله ، وذلك قبل أن يهاجم هذه المدينة[2]. كذلك نلحظ أن الموزعى كان إلى جانب إطرائه المستمر ومدحه الكثير للولاة ولأعمالهم ، فإنه كان ينتقى ألفاظه بعناية حين يتناول أعمال الولاة بالشرح والتعليق أو عندما يشير إلى أخطائهم التى أجمع باقى معاصريه من المؤرخين — بما فى ذلك المؤرخين المنحازين إلى العثمانيين — على مهاجمتها أو الإشارة إليها على الأقل . ومن ذلك وصفه لموقف محمود باشا من تقسيم اليمن إلى ولايتين بعد عزله منه وتعيينه والياً لمصر[3] ، إذ وصف ذلك بتعبير مهذب حذر ، ثم عندما علق على هذا الموقف

---

(١) الموزعى : الإحسان فى دخول اليمن (مخطوطة) ص ١٣ ا .

(٢) نفس المرجع : ص ١٤ ب .

(٣) يعتبر محمود باشا من أسوأ الولاة الذين تولوا أمور اليمن وقتذاك ، إذ عمل على جمع =

غلف تعليقه بآية قرآنية للتعبير عن خطأ وجود والين فى اليمن ، فقال « ثم لما وصل محمود باشا السابق ذكره إلى الديار المصرية ترجح له أن عرض إلى المسامع الشريفة السلطانية بأن مملكت (مملكة) اليمن واسعة جداً وأنه يمكن أن يتولى لها بكراً بكيان » (١).

وقد اتبع الموزعى أسلوب السرد القصصى فى تاريخه ولم يجعله على أساس ترتيب الأحداث على طريقة الحوليات ، وذلك مع العناية بالتوقيت وضبط الأحداث بذكر التواريخ . فقد تتبع الولاة الواحد بعد الآخر مع ذكر أهم أحداث ولاية كل منهم ، وإن كان تأريخه مختصراً إذا قيس بما كتبه معاصريه من المؤرخين . ورغم ذلك . فقد توسع الموزعى فى كتاباته توسعاً فنياً مفيداً غير ممل ، يجعله يحتل مكاناً لائقاً بين مؤرخى تلك الفترة من اليمنيين وقد بلغ هذا التوسع ذروته فى ناحيتين : فيما عاصره من أحداث ، وفى الأجزاء الخاصة بتعز وبمناطق الجنوب . وبمعنى آخر ، بدأ الموزعى فى التوسع وذكر التفصيلات كلما اقتربت الأحداث منه وأصبحت معاصرة له ، كذلك أسهب وأطال فى كل ما يخص تعز وجنوب اليمن ، وخاصة فيما عاصره من أحداث ، ولذلك فلا غرابة أن نعتبر أن الموزعى هو مؤرخ تعز وما حولها من مناطق الجنوب فى تلك الفترة . وذلك رغم ما شاب تاريخه من شوائب مثل تعصبه المذهبى ، وتحيزه البين للعثمانيين ، وهجومه اللاذع على الأئمة الزيديين .

ولا شك فى أن ارتفاع مكانة الموزعى الاجتماعية إلى جانب أهمية وظيفته كانتا من أهم الأمور التى ساعدته على معرفة أخبار جنوب اليمن عن قرب

= الأموال حتى يتمكن عن طريقها من الوصول الى هدفه الكبير وهو ولاية مصر . وكان سعيه الى تقسيم اليمن من أجل مضايقة خلفه رضوان باشا وليس للمصلحة العامة وذلك لأن الأخير عمل على كشف عوراته فى اليمن عند ما تولى أموره .

(١) الموزعى : الإحسان فى دولة دخول اليمن (مخطوطة) ص ١١ ب (وصحة بكرا بكيان التى ذكرها هى بكار بكيان ، ومفردها بكلر بكى ، وهى كلمة تركية ومعناها والى أو أمير الأمراء) .

وعلى الإطلاع على أدق تفاصيلها ، فقد روى ما كان يدور أحياناً فى مجالس حكام تعز أو غيرها من مدن الجنوب . كذلك أطال فى وصف المنازعات الخفية التى كانت تدور بين حكام هذه المدن ، وذلك إلى جانب الإفاضة فى وصف المنشآت العمرانية والأعمال الخيرية والإصلاحية التى يقوم بها هؤلاء الحكام ، وهذا كله ما يجعلنا نعتقد أنه كان على اتصال بهؤلاء ، أو على الأقل قريباً من صانعى الأحداث هناك إن صح هذا التعبير . وكان يقابل هذا ضعف تاريخه بالنسبة لأحداث المناطق الشمالية ، فهو خال من تلك التفصيلات الممتعة المفيدة التى ذكرها عن تاريخ المناطق الجنوبية ، والتى كانت تتناول النواحى الإدارية والمالية والإجتماعية والإنشائية فضلا عن السياسية — فى هذه المناطق ، أما معلوماته عن مناطق الشمال — وما يذكره منها فى تاريخه — فهى تقف عند حدود ما يتصل بالدولة منها ، أى عند ذكر حروب العثمانيين ضد الأئمة الزيديين وأتباعهم ، وعند ذكر محاولات العثمانيين فى إخضاع ثورات هؤلاء .

ولا يقل الموزعى فى الواقع أهمية أو قدراً عن المؤرخين سالفى الذكر ، فقد شاركهم فى تعميق فهمنا لأوضاع اليمن تحت الحكم العثمانى ، وأمدنا بمادة غزيرة عن نواحى الحياة المختلفة هناك فى تلك الفترة ، بل وتفوق عليهم فيما يخص المناطق الجنوبية من اليمن كما ذكرنا . وقد اهتم الموزعى كما اهتم هؤلاء بالنواحى الاقتصادية والمالية مثل سك الولاة للعملات الجديدة وأثر ذلك على الأهالى أو مواقفهم منها ، أو مثل قيام المنازعات بين أفراد الحامية العثمانية وبين قوادهم وأمرائهم وأثر ذلك على اضطراب الأحوال فى اليمن . وكان الموزعى يحرص على شرح وتوضيح موقف الأهالى من الأحداث ومن أعمال الولاة مما أعطى تاريخه لوناً إجتماعياً حياً ، ولقد اتضح ذلك — على سبيل المثال — فى تعبيره عن ضيق الأهالى من العملة الفضية

الجديدة التي سكها الوالى محمد باشا سالف الذكر لقلة الفضة بها ، فذكر أن الأهالى ظلوا يحرصوون على التعامل بالسكة القديمة بعض الوقت رغم أوامر الوالى بإبطالها بل واشترط بعضهم — وخاصة خارج المدن — استخدام العملة القديمة فى جميع معاملاتهم التجارية دون مبالاة لأوامر الباشا[1] .

وقد توقفت أحداث الموزعى عند سنة ١٠٣١ (١٦٢١ م) أى عند سفر الوالى محمد باشا معزولا عن ولاية اليمن ووصول الوالى الجديد بدلا منه . وهذا التاريخ هو كل ما لدينا عن الموزعى ، فكما أننا نجهل تاريخ ميلاده ، فاننا لا نعرف تاريخ وفاته . ويبدو أنه عاش بعد هذا التاريخ بعض الوقت ، إذ أنه هو الذى أنهى كتابه بنفسه عند هذا الحد وذلك بعبارة تقليدية هى « تم التاريخ بحمد الله وحسن توفيقه » وإن كنا لا ندرى تماماً لماذا وقف تاريخه عند نهاية ولاية محمد باشا .

وكتاب الموزعى من الكتب الصغيرة الحجم أيضاً ، فهو يقع فى ٨٠ ورقة فقط من القطع الصغيرة ، إلا أنه ذو أهمية تاريخية بالنسبة لدارس تاريخ اليمن تحت الحكم العثمانى فى تلك الفترة (١٥٣٨ — ١٦٣٥ م) إذ أنه يتكامل مع باقى كتب معاصريه التاريخية التى أشرنا إليها فى توضيح أبعاد تلك الفترة .

٥ ـ مؤلف مجهول :

ويلتحق بهذه المجموعة مؤرخ مجهول ليس بأيدينا ما يدل عليه سوى مخطوطته التى تتناول جزء من تاريخ اليمن تحت الحكم العثمانى فى القرن السادس عشر الميلادى ، وهى بعنوان « التيجان الوافرة الثمن فى تاريخ ولاية مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من وليه بعهده

---

(١) للموزعى : الإحسان فى دخول اليمن (مخطوطة) ص ١٢٢ .

بالوصف الحسن »(١) . وقد صعب التعرف على شخصية صاحب هذه المخطوطة مما بين أيدينا من تراجم أو مادة تاريخية ، وربما يظهر فيما بعد ما ينم عن صاحبها عندما يعثر أحد الباحثين على إشارة إليها فى إحدى ترجمات مؤرخى أو علماء أو فقهاء تلك الفترة .

وهذه المخطوطة من المخطوطات الصغيرة الحجم إذ تقع فى ١٤ ورقة فقط من القطع الصغير ، إلا إنها من النوع النادر اللطيف ، فهى برمتها عبارة عن أرجوزة طويلة ، أو بالأخرى عبارة عن مجموعة من الأراجيز القصيرة التى تناولت كل منها موضوعاً بذاته بل وقافية خاصة ، وذلك مع جعل كل منها باباً منفصلا ذا عنوان خاص . ولم يأت كاتب هذه الأرجوزة بجديد من الناحية التاريخية ، ولكن الجديد عنده هو طريقة التأليف وأسلوب الكتابة ، أو بالأحرى أسلوب العرض التاريخى . فقد عمد هذا الكاتب إلى نوع من الشعر حتى يسهل تداول أشعاره ومعلوماته التاريخية ، وبالتالى حتى يسهل نشر أفكاره ودعايته ، التى تدور حول الدفاع عن بعض الولاة العثمانيين وأعمالهم ، والهجوم على الأئمة الزيديين وتعديهم على ممثلى السلطة العثمانية . غير أن هذا الأسلوب الخاص لا يتنافى مع حقيقة فهم صاحبه لمعنى التاريخ ، وحرصه على ضبط الأحداث بذكر تاريخها ، مع تمسكه بباقى تقاليد التاريخ عند أبناء المدرسة التاريخية الإسلامية من ناحية الموضوع ومن ناحية ما أصطلح عليه من شكليات مثل البسملة والحمد له وذكر الشهادتين عند البداية وذكر الرســـول والصلاة عليه عند الخاتمة .

ومن أمثلة ما جاء فى هذه الأرجوزة ما ذكره فى أولها فقال :

وهذه تأليفة يا إخوان فائقة النظام فى هذا الشان

---

(١) مخطوطة مصورة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٨ تاريخ وهى مصورة عن نسخة باريس .

أذكر فيها ما يزيل الأحزان ... وصول مولانا المسمى رضوان
ونشر العـــدل بكل البلدان ... عام اثنتين فى صحيح الحسبان
من بعد سبعين مضت يا إنسان ... من بعـــد تسعمائة بإتقان
من السنين عند أهل العرفان ... فافهم تـكن فارس هذا الميدان
ونزل الساحل أعنى جازان .. ... وضرب الخيـام ثم الصيوان
وسار إذ ذاك بجند السلطان ... ماليكنا صفوة آل عثمان
لله من عادل سـليمان ... من ملك الملوك أهل التيجان(١)
. . . .

وهكذا يسير المؤلف فى مخطوطته من موضوع إلى آخر ، ومن قافية إلى أخرى حتى يأتى إلى آخر الكتاب فيقول :

ثم صلاتى وسلامى إتمـام ... على رسول الله خير من صام
وآله والصحب حزب الإسلام ... ما فتح الزهر طوء الأكمام(٢)

ولجوء المؤلف إلى هذه الطريقة فى التأليف يذكرنا بطريقة المداحين ورواة السير الشعبية فى مصر ، وهى طريقة ينتشر معها ما يروى بين الناس لسهولة حفظه وترديده فى المجالات المختلفة .

وقد تناول المؤلف فى مخطوطه تاريخ ستة من ولاة اليمن ، امتدت ولايتهم هناك من ١٥٦٥ إلى ١٥٧٥ م ، وهى الفترة الحرجة فى تاريخ العثمانيين فى هذه البلاد التى كادت أن تخرج من أيديهم عندئذ لولا إرسالهم حملة كبيرة إليها تحت قيادة سنان باشا الوزير (١٥٦٩ — ١٥٧١ م) ، الذى

---

(١) مجهول المؤلف : التيجان الوافرة الثمن .. (مخطوطة) ص ١ أ — ١ ب ، وصاحبها يتحدث هنا عن وصول الوالى رضوان باشا إلى اليمن فى سنة ٩٧٢ هـ (١٥٦٥ م) فى عهد السلطان سليمان القانونى ، وهو الوالى الذى جاء ذكره فى عنوان المخطوطة وأول من أشير إليهم فيها .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٤ ب .

اعتبره قطب الدين النهروالى الفاتح الثانى لليمن[١] .

وأخيراً فوجود هذه المخطوطة بين أيدينا — إلى جانب المخطوطات السابق الإشارة إليها — له دلالة هامة ، وهى إقبال اليمنيين وقتذاك على التأليف التاريخى فى صوره المختلفة ، بما فى ذلك الصورة الشعرية الخفيفة ، أى الأراجيز .

ملاحظة سريعة :

وهكذا تتضح الجوانب المختلفة لمجموعة المؤرخين اليمنيين المنحازين للعثمانيين وقد سبق أن أشرنا إلى الصفات العامة التى جمعت بينهم لا من حيث وحدة المذهب الدينى أو الانحياز للعثمانيين فحسب ، بل ومن حيث طبيعة وظائفهم وارتباطهم بالحكام أيضاً . غير أنه من الممكن أن نضيف هنا — وخاصة بعد أن عرضنا تراجم هؤلاء المؤرخين — ملاحظتين هامتين :

أولهما : تنوع مؤلفات هؤلاء من الناحية الشكلية ، فكان بعضهم من أصحاب كتب التاريخ العام مثل ابن داعر ، وبعضهم من أرخ لفترة محدودة مثل فيروز والموزعى ، أو لحكم والى معين مثل المطيب .

وثانيهما : إهمال الأجيال التالية من اليمنيين لهؤلاء المؤرخين ، فلم يذكروهم فى كتاباتهم ، ولم يحتفظوا بمخطوطاتهم ، ولذلك لم يكن غريباً أن تكون نسخ هؤلاء المؤرخين الأصلية قد حفظت فى خارج اليمن كما يدل على ذلك النسخ المصورة المحفوظة فى مكتبات القاهرة . وهى النسخ التى كانت فى الواقع دليلنا الوحيد للتعرف

---

(١) يعد قطب الدين النهروالى من أهم من أرخ لليمن فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وهو محمد بن أحمد بن قاضى خان المكى الحنفى النهروالى (نسبة إلى إحدى قرى الهند كما قال فى كتابه الإعلام بأعلام بلد الله الحرام ، وليس النهروانى كما جاء فى فهرس مخطوطات دار الكتب وكما اشتهر بذلك) ، وهو مؤرخ وفقيه من مكة ، وتولى الإفتاء بها حتى توفى سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) ولذلك لم نضعه ضمن هذه الدراسة لأنه لا يعد من المؤرخين اليمنيين ، رغم أن مخطوطه المسمى « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى » يعد من أهم الكتب التى تناولت تاريخ اليمن منذ أول القرن العاشر حتى نهاية حملة سنان باشا الوزير ولقطب الدين مؤلفات أخرى عديدة ، كما تتوفر لدينا المعلومات اللازمة عنه ، ونرجو أن نوفق فى كتابة بحث خاص به فيما بعد .

على هؤلاء المؤرخين . ويرجع هذا الاهمال – الذى نرجح إنه كان متعمداً – إلى تغير الظروف السياسية بعد أن وضع هؤلاء المؤرخين مؤلفاتهم ، فقد خرج العثمانيين من اليمن فى سنة ١٦٣٥ م ، واستقل الأئمة الزيديون بالحكم هناك ، ولذلك عمل هؤلاء الأئمة وكتابهم ومؤرخيهم على إهمال كل مايمت إلى العثمانيين بصلة ، وذلك فضلا عن مهاجمة الحكم العثمانى نفسه .

ثانيا : المنحازون للائمة الزيديين :

نظرة عامة :

اما المجموعة الثانية وهى مجموعة المؤرخين المنحازين إلى الأئمة الزيديين – أو بمعنى آخر المعادين للعثمانيين – فقد اتصفوا أيضاً بعدة صفات مشتركة يمكن أن نجملها مقدما فيما يلى :

أولا : كانوا جميعاً من أتباع المذهب الزيدى ، وكان بعضهم من أسر الأئمة الزيديين الذين ظهروا – أو بالأحرى دعوا إلى إمامتهم – فى اليمن فى العهد العثمانى ، كما كان البعض الآخر من قادة هؤلاء الأئمة أو من عمالهم أى من المقربين إليهم . ومعنى هذا أن هؤلاء المؤرخين كانوا على صلة وثيقة بالأحداث وصانعيها .

ثانياً : يلاحظ التشابه الشديد بين مؤرخى هاتين المجموعتين – الأولى والثانية – من حيث طريقة التفكير ، والثقافة الإسلامية الشاملة ، وتعدد الاهتمامات والفروع العلمية التى يتعلق بها المثقف حينذاك والتى يبرز فى ميدانها ، والخضوع للتقاليد – أو حتى للأساطير – السائدة ، إلى غير ذلك من سمات الفترة التى نتناولها فى هذه الدراسة ، وذلك لأن هؤلاء جميعاً كانوا أبناء أجيال متقاربة وعاصر بعضهم البعض ، كما كانوا أبناء مدرسة تاريخية واحدة . أما الفارق الوحيد بين هؤلاء وهؤلاء فقد كان الموقف السياسى وهو الموقف القائم على الاختلاف المذهبى ، والمصالح المادية ، والعلاقات أو الارتباطات الشخصية .

ثالثاً : تفاوتت درجة التعصب أو التشدد ضد العثمانيين من مؤرخ إلى آخر من أبناء مجموعة المؤرخين الزيديين ، وذلك تبعاً لظروف كل منهم الشخصية والتاريخية كما سنرى عند ترجمة حياة كل منهم على حدة .

رابعاً : لم يخرج المؤرخون الزيديون فى كتاباتهم عن المألوف عند المؤرخين من أبناء المدرسة الإسلامية ، من حيث المنهج أو الأسلوب أو من حيث فهمهم لمعنى التاريخ أو المقصود منه ، وقد ظهر من بينهم أصحاب كتب التاريخ العام ، أو من أرخ لفترة محدودة ، كذلك اختص بعضهم بكتابة سير الأئمة ، وهى جميعها الصورة والأساليب المألوفة للتأريخ وقتذاك .

١ ـ عيسى بن لطف الله

وأول هؤلاء المؤرخين هو عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين يحيى ، صاحب كتاب « روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح »[١] . وكما يبدو من الاسم ، فهو من أسرة الإمام شرف الدين ــ سالف الذكر ، وحفيد المطهر الذى قاد جيوش الزيديين وأشعل ثوراتهم ضد العثمانيين طوال الربعين الثانى والثالث من القرن السادس عشر الميلادى . وقد ولد عيسى بن لطف الله فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ (٣١ أغسطس سنة ١٥٧٨ م) ، أما وفاته فكانت فى ٢ ربيع الأول سنة ١٠٤٨ هـ (١٤ يولية ١٦٣٨ م) ، وذلك كما جاء فى الجزء الثالث من كتابه « روح الروح . . . » الذى أكمله ابنه[٢] . ويعرف هذا المؤرخ بسعة اطلاعه ، « وكان أديباً لبيباً رقيق الحاشية ، مفاكهاً ملاطفاً حافظاً للآداب

---

(١) مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٩٠٨٧ ح وهى مصورة عن نسخة الدار رقم ١١ تاريخ م . والمخطوطة هى الكتاب الثالث ضمن مجموعة ، وهذه النسخة جزءان ؛ أما النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب تحت رقم ٧٢٣ تاريخ فهى فى ثلاث أجزاء .

(٢) سيتضح فيما بعد حقيقة الجزء الثالث والدور الذى قام به ابن عيسى بن لطف الله فى تكملته .

والأمثال مجرياً لها فى مجاريها ، كلماته فى الناس مخارج الأمثال ، بها يتمثل المتمثل ، مطلعاً على التاريخ . . . وكان عارفاً بعدة علوم وغلب عليه علم النجوم فصار أظهر ما ينسب إليه وإلا فعنده علوم أخرى ، وله قصيدة يتنصل عما ينسبه الناس إليه ..»(١) وقد أفاض ابنه فى التعريف به فى الترجمة التى أوردها له كما أشرنا ، فقال « . . . وكان عالماً منيفاً فى النحو والمعانى والبيان والمنطوق والتصريف والتفسير وأصول الفقه وأصول الدين ، وكان له الرتبة العالية فى معرفة النجوم وحركات الأفلاك والرسوم ، وكذلك فى الطب كان بقراط زمانه . وكان شاعراً مفلقاً بليغاً حاذقا ناظما وناشراً ، إن نظم فاق أبا الطيب المتنبى .. محاضراً للملوك مؤازراً لهم ، يسعى فى حضرتهم بالخير والصلاح ، وله المدح والغزل نظمه يسلب العقول . وكان أديباً متواضعاً برا شفيقاً حسن الخلق والخلق »(٢) .

وقد عكس كتاب « روح الروح » ملامح هذه الشخصية ، إذ اتضح به سعة اطلاع المؤلف ومعرفته بعلوم عصره ، فامتلأ بالأمثال السائرة والشعر مع الاستشهاد بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وذلك إلى جانب فهمه العميق للأحداث التاريخية المعاصرة له لقرابته بالأئمة الزيديين ولعلاقته بالولاة العثمانيين ، تلك العلاقة التى سنوضح حقيقتها فيما بعد . وظهر فى هذا الكتاب كذلك ميل المؤلف إلى الفلك ، إذ أكثر فيه من ذكر الظواهر الفلكية ، بل واعتمد عليها فى تفسير بعض أحداث السياسة ، فأشار مثلا إلى أن وقوع الفتن والحروب فى إحدى السنوات إنما كان نتيجة اقتراب أحد الكواكب من كوكب آخر ، أو بسبب حدوث كسوف أو خسوف فى تلك السنة .

وعكس هذا الكتاب أيضاً إدراك مؤلفه للتقاليد السائدة فى عصره

---

(١) ، (٢) المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .

الخاصة بالتأريخ وبمعنى التاريخ ، فقد سار فى تدوين تاريخه على طريقة الحوليات فذكر الأحداث سنة بعد أخرى ، وذلك بعد أن أبان فى مقدمة قصيرة عن غرضه من تأليف كتابه وعن فهمه لمعنى التاريخ وأنه للعظة والاعتبار . ورغم عيوب طريقة الحوليات من ناحية تفتيت الموضوع الواحد وتفريق الأحداث بين السنوات حسب وقوعها ، فقد ساعدت هذه الطريقة عيسى بن لطف الله فى أن يجعل من كتابه موسوعة شاملة لتاريخ اليمن وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية فى حوالى قرن ونصف من الزمان . وتبدأ أحداث « روح الروح » ببداية القرن العاشر الهجرى أى بأحداث سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) . وانتهى فى الجزء الأول منه إلى أحداث سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧م) واشتمل الجزء الثانى على أحداث السنوات من سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٨ م) إلى سنة ١٠٢٩هـ (١٦١٩م) أما الجزء الثالث فقد امتد من سنة ١٠٣٠هـ (١٦٢٠م) إلى سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦ م).وهذا الكتاب من جزءين فقط فى حقيقة الأمر أما الجزء الثالث منه فهو من تأليف ابن عيسى بن لطف الله وليس من وضع المؤلف نفسه ، وإن أمكن القول بأنه هو الذى أملى ابنه الجزء الممتد من سنة ١٠٣٠ هـ إلى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٢٠ : ١٦٣٨) م وهى السنة التى توفى فيها ، ثم أكمل ابنه الجزء الباقى منه . ويدل على هذا عدة أمور منها : أن النسخة التيمورية فقط هى التى تتألف من ثلاث أجزاء ، أما نسخة دار الكتب فهى تتألف من جزءين فقط . ومنها أيضاً العبارة التى جاءت فى بداية النسخة التيمورية وهى :

« هذه هى النسخة كاملة ، إليها ما ألحق ابن السيد عيسى بن لطف الله بعد روح الروح » ، ثم العبارة التى جاءت فى نهايته : « وإلى هنا تم الجزء الثالث من تاريخ روح الروح ، ولله الحمد على ذلك ، كان الفراغ من تأليفه يوم الخميس ثانى وعشرين شهر جمادى الأولى سنة سبع وستين وألف وصلى الله على سيدنا محمد ولا حول ولا قوة إلا بالله » . ويمكن أن نخرج من هذا بأن الكتاب يتألف من جزءين وأن الجزء الثالث عبارة عن ذيل له من وضع

ابن المؤلف ، الذى حرص بدوره على أن يسير على منوال أبيه فى التأليف ، بل والذى حرص على عدم ذكر إسمه ، أو وضع عنوان خاص لما قام بإضافته إلى الكتاب الأصلى . ويبدو أن هذا الابن قد قام بتأليف الجزء الثالث من هذا الكتاب بمعرفة أبيه وبإذنه ، فهو يشير من حين إلى آخر فى هذا الجزء إلى أنه يستمد معلوماته من أبيه ، ويردد عبارة «قال سيدى الوالد» أو «ذكر لى السيد الوالد» . وذلك حتى سنة وفاة عيسى بن لطف الله نفسه فى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م).

وربما كان عيسى بن لطف الله هو الذى رغب فى أن يواصل كتابه تاريخه ، وهو الذى كلف ابنه بتكملته لعجزه وكبر سنه ، فأملاه ما استطاع إليه سبيلا حتى وفاته وأكمله الابن حتى أحداث عام ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦م) . ويترجح هذا إذا عرفنا أن عيسى بن لطف الله كان قد قام بتأليف كتابه بتكليف من الوالى العثمانى محمد باشا الوزير كما أوضح بنفسه فى مقدمة الكتاب(١) ، وإذا عرفنا أن ولاية هذا الوالى تنتهى فى سنة ١٠٢٩هـ(١٦١٩م) ، وهى السنة التى وقف عندها الجزء الثانى كما أشرنا .

ويقودنا القول السابق إلى مناقشة نقطة أخرى خاصة بميول عيسى ابن لطف الله السياسية كما اتضحت فى كتابه ، أو بالأحرى خاصة بموقفه من القوتين السياسيتين المتنازعتين فى اليمن وقتذاك .

وقد يبدو غريباً — عند الوهلة الأولى — أن يكلف الوالى العثمانى أحد المؤرخين بكتابة تاريخ اليمن ، وأن يقوم هذا المؤرخ بمدح الوالى والثناء عليه إلى حد المبالغة التى تثير الدهشة والملل ، والتى لفتت إليها نظر أحد المؤرخين الأتراك فأشار إليها باستغراب شديد(٢).

---

(١) عيسى بن لطف الله : « روح الروح » (مخطوطة) ص ٥٦ (ويلاحظ أننا قد أشرنا إلى أن نسخة دار الكتب محفوظة ضمن مجموعة من المخطوطات) .

(٢) عاطف باشا : يمن تاريخى (باللغة التركية) ص ٩٦ .

وقد يتضح هذا التناقض ـ أو ما قد يبدو كذلك إذا أشرنا إلى بعض النقاط :

أولا : كان دافع محمد باشا الحقيقي من وراء تكليف عيسى بن لطف الله بكتابة تاريخه هو الرغبة فى أن يعرف كيف واجه الولاة العثمانيون ثورة الإمام شرف الدين وأبنه المطهر ، ولذلك رأى أن يستخدم أحد أبناء أسرة الإمام شرف الدين ــ وهو عيسى بن لطف الله ــ فى كشف أسرارها ، لأنه فى الواقع سيكون أكثر من غيره دراية وخبرة بأحوالها .

ثانياً : رأى محمد باشا الإستفادة من التاريخ ليعرف كيف يواجه ثورة الإمام الجديد وهو الإمام القاسم بن محمد ، الذى كان قد دعا إلى إمامته منذ ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) ، والذى كان قد اشتد ساعده فى ولاية محمد باشا فبسط سيطرته على كثير من أقاليم المنطقة الشمالية ، ولذلك طلب محمد باشا بالتحديد من عيسى بن لطف الله ـ كما جاء فى مقدمة كتابه ـ أن يكتب له تاريخ مجىء المماليك إلى اليمن وقضائهم على الطاهريين ، ثم قيام دولة آل شرف الدين وحروب المطهر وزوال دولته من أيدى أبنائه .

ثالثاً : كان الزيديون فى أيام محمد باشا بن لطف الله ينقسمون على أنفسهم ، فأسرة الإمام شرف الدين كانت قد دخلت فى طاعة العثمانيين عندما ضعفت قوتهم السياسية بعد وفاة المطهر فى سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) ، أما أسرة الإمام القاسم فقد كانت تمثل الثورة الجديدة على العثمانيين . وقد انعكس هذا على كتابات عيسى بن لطف الله ، فقد اتضح اعتداله بالنسبة للعثمانيين إلى حد يلفت النظر ، كما كان يفسر حروب أسلافه مع العثمانيين بأنها كانت نتيجة كيد الحاسدين وسعيهم بالوقيعة بين الطرفين ، وفى نفس الوقت اتضح تضجره من دعوة الإمام الجديد ، إذا كانت تمثل تهديداً لمصالح أسرته المتعاونة مع العثمانيين كما كانت تمثل تهديداً للسيطرة العثمانية فى اليمن .

رابعاً : انتهز عيسى بن لطف الله فرصة تكليفه بكتابة تاريخ اليمن فى هذه الفترة فاهتم بإبراز تاريخ أسرته وتوضيح جوانبه إلى حد كبير ، وقد لاحظ المحبى هذا من قبل ، فأشار إليه فى ترجمة هذا المؤرخ بقوله « وله التاريخ المشهور الذى سماه روح الروح . وصنفه فى الظاهر للأروام وأفاد فيه أيام سلفه»(١) .

وهكذا تتضح الظروف السياسية والشخصية التى أحاطت بعلاقة عيسى ابن لطف الله بالوالى العثمانى محمد باشا ، تلك العلاقة التى ترتب عليها ظهور كتاب « روح الروح » إلى الوجود بما كان يحمله من توسع فى تاريخ أسرة الإمام شرف الدين ، ومن اعتدال فى عرض تاريخ العثمانيين فى اليمن . وكيفما كان الأمر ، فيعتبر عيسى بن لطف الله — دون شك — من أهم من أرخ لليمن منذ بداية القرن العاشر الهجرى حتى سنة ١٠٢٩ هـ (١٤٩٥-١٦١٩م)، وهى السنة التى وقف عندها الجزء الثانى من كتابه ، أو بمعنى أدق السنة التى توقف عندها عن الكتابة .

٢ — المطهر الجرموزى

أما المؤرخ الثانى من مجموعة المؤرخين الزيديين ، فهو المطهر بن محمد ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن المنتصر أبو على الشريف الحسن الجرموزى ، صاحب كتاب سيرة الإمام القاسم بن محمد(٢) ، ويسمى أيضاً « الدرة المضية فى السيرة القاسمية » . والجرموزى هذا من الأشراف الحسنيين كما يتضح من إسمه أى من فرع الحسن بن على بن أبى طالب ، أما شهرته بالجرموزى فترجع إلى نسبته إلى « هجرة بنى جرموز » وهى قرية كبيرة باليمن ، وكان جده محمد بن المنتصر هو أول من انتقل إليها من أسلافه(٣) . وقد ولد

(١) المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ .

(٢) مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢٥٦٤٩ ، وهى منقوله من ميكروفيلم محفوظ بالدار مصور عن الأصل المحفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

(٣) الزركلى : الأعلام : ج ٨ ، ص ١٦٠ .

الجرموزى فى جمادى الآخرة سنة ١٠٠٣ هـ ، وتوفى فى سابع عشر ذى الحجة سنة ١٠٧٧ هـ (١٥٩٤ ١٦٦٦ م) أى أنه عاصر حكم الأئمة الثلاث الأوائل من أسرة الإمام القاسم ، وهم الإمام القاسم نفسه ، ثم ولديه الإمام المؤيد محمد والإمام المتوكل على الله إسماعيل . وقد أرخ لهؤلاء الثلاثة تأريخاً موسعاً دقيقاً ، فذكر سيرهم ووقائعهم وأحوالهم ومكاتباتهم[١] . وللجرموزى عدة كتب غير الذى أشرنا إليه منها « الجوهرة المنيرة » (مخطوط) فى تاريخ حكم الإمام المؤيد ، و « النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة » وهو مخطوط أيضاً فى أخبار المنصور بالله القاسم بن محمد[٢] .

وقد تضافرت عدة عوامل فى تعميق كتابات الجرموزى ، وفى رفع شأنه بين مؤرخى الفترة التى ندرسها ، منها قرابته للأئمة من أسرة الإمام القاسم ، فهو من الأشراف ومن أتباع المذهب الزيدى . ومنها دخوله فى خدمة هؤلاء الأئمة إذ قيل إنه « توفى فى عهيمة وهو عامل بها »[٣] ، أى أنه كان أحد المسئولين القريبين من الحكام لنسبه ومذهبه ووظائفه . وقد انعكس أثر هذا فى كتابه « سيرة الإمام القاسم بن محمد » إذ أننا نلمس فيه أن الجرموزى كان قريباً من الأحداث ، يستقى معلوماته من مصادرها الأصلية . ومن ناحية أخرى ، فيعد الجرموزى من مؤرخى السير البارزين فى عهده ، ومن البحاثة المدققين الذين يجرون وراء الأخبار لجمعها وروايتها ، مع ذكر من أخذ عنهم أى مع إسناد رواياته إلى أصولها . وقد أبرز هذا كله فى مقدمة كتابه عندما أشار إلى الغرض من تأليفه ومن منهجه ، فقال بعد « البسملة ، والحمد لله والصلاة السلام على رسوله « أما بعد فإنى كنت سمعت كثيراً من أخبار مولانا وإمامنا وسيلتنا إلى ربنا الإمام الأعظم والحجة لله سبحانه على أهل عصره من ولد

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، جـ ٤ ، ص ٤٠٦ .

(٢) الزركلى : الأعلام ، جـ ٨ ، ص ١٦٠ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

آدم المنصور بالله القاسم بن محمد بن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فأخذ النسيان أكثره ، فرأيت أن أعلق فى هذا المختصر ما لقيته مما بقى وأجعله فى هذه الأوراق اليسيرة . توقيعاً لما أمكن من الجمل ، وأما الإحاطة بها فما أبعدها ، والتفصيل لهـا أبعد من نيل النجوم وعدها لطول المدة وتأخرنا عنها ، ولتفرق الوقائع والقضايا والنعوت والسرايا فى أقطار اليمن ، فإنه عليه السلام قام واليمن كله مجتمع للعجم (أى العثمانيين) ولا مخالف لهم من مكة إلى عدن ، وكذا كثير من الأقاليم الخارجة عنه»[1] ، وهو يشير بذلك إلى ولاية حسن باشا الطويلة التى بسط فيها العثمانيون سيطرتهم على جميع أنحاء اليمن .

أما من ناحية منهجه فى هذا الكتاب ، فقد رسمه بعناية وبتفصيل لتحقيق غرضه وهو كتابة سيرة الإمام القاسم من جميع جوانبها الشخصية والحربية والسياسية . وقد عرض هذا المنهج فى مقدمة الكتاب أيضاً فقال : «ونذكر نسبة الشريف ، ومولده ونشأته ، وحيلته وخصائصه ، وعلمه وشجاعته وروعه ، وتدبيره وسخاه وشفقته على الأمة ، وصبره . ونبذاً من مواعظه ورسائله وكرامته ، ونبذاً من أشعاره ويسيراً مما امتدحه به أهل الإجادة ، وتعداد عيون العلماء من أهل عصره ، ودعوته وحروبه ونهضاته ووفاته وموضع قبره ؛ سلام الله وصلواته على روحه الطاهرة»[2] . ثم يبدأ بعد ذلك مباشرة فى عرض النقاط كل منها على حده فيقول : أما نسبه[3] .. ولم يستغرق الحديث عن صفات الإمام ومناقبه سوى ٤٧ ورقة فقط من هذا الكتاب الكبير الذى بلغت أوراقه ٢٦٣ ورقة . أما باقى الكتاب فقد تناول فيه الجرموزى دعوة الإمام وحروبه ومراحلها الأربعة حتى وفاته ، وهى التى

---

(١) الجرموزى : سيرة الإمام القاسم بن محمد (مخطوطة) ص ١ ا .

(٢) ، (٣) نفس المرجع : ص ١ ب .

سماها نهضاته . ويعد هذا الجزء الأخير من أهم ما كتب عن دعوة القاسم وعن المراحل الأولى لقيام الدولة القاسمية التى تم على يديها إخراج العثمانيين من اليمن فى سنة ١٦٣٥ م ، والتى ظلت تمسك بمقاليد الحكم حتى إعلان الجمهورية هناك سنة ١٩٦٢ م . فقد نجح المؤلف هنا فى أن يصور بوضوح بذور دعوة القاسم وكيف ألتف الأهالى حوله ؛ وذلك مع إبراز الوجه المظلم من حكم العثمانيين فى اليمن وأسباب تذمر الأهالى من هذا الحكم . وبالإضافة إلى ذلك فقد حرص المؤرخ على تطعيم كتاباته بالوثائق الأصلية العديدة ، وذلك عند ما ذكر نصوص رسائل الامام التى كان يوجهها إلى المسلمين كافة ، أو التى كان يرسلها إلى رؤساء القبائل اليمنيين يدعوهم فيها إلى الثورة على العثمانيين ، وكذلك نصوص أقوال بعض كبار أتباع الإمام ورجالات عصره . وقد أظهرت هـذه الوثائق — التى تشبه المنشورات السياسية فى الوقت الحالى - طريقة التفكير فى ذلك العصر . وأسباب الثورات وقتذاك ، وكيف تتخذ ثياب الجهاد الدينى والدفاع عن الدين والشرع . وقد غلف الجرموزى هذا كله بإطار من التحيز الشديد ؛ فكان لا يذكر إسم الإمام مجرداً ، بل يحيطه بألقاب التعظيم وهالات التقديس . وفى نفس الوقت كان لا يفتر عن مهاجمة العثمانيين ويصف ولايتهم أو أعمالهم بصفات التحقير ، وبالحط من شأنهم ، وخاصة أولئك الذين عاصروا الإمام القاسم ووقفوا ضد دعوته ، فكان لا يذكر حسن باشا الوزير — على سبيل المثال — إلا ويضيف عبارة تقليدية إلى جانب إسمه وهى « لا رحمه الله »[1] .

ويذكرنا كتاب الجرموزى فى جملته بالكتب الدعائية التى تصدرها

---

(١) وحسن باشا الوزير هذا هو الذى قامت ثورة الإمام القاسم فى أواخر ولايته ، فنجح فى إخمادها مؤقتاً حتى أجبر الإمام على الاختفاء فى جبال برط فى أقصى شمال شرق اليمن . وهذه المرحلة من ثورة الإمام هى نهضته الأولى حسب تعبير الجرموزى فى كتابه .

الحكومات والهيئات للإعلان عن أعمالها ولرفع شأنها أمام الحكومات الأخرى أو أمام رعاياها ، ورغم هذا فقد قدم الجرموزى فى هذا الكتاب المادة التاريخية الغزيرة الخاصة بهذه الفترة الهامة من تاريخ اليمن ، كما قدم الصورة المقابلة لكتابات المؤرخين المنحازين إلى العثمانيين ، التى تساعد الباحث الحديث على عقد المقارنة بينهما ، وعلى إتاحة الفرصة أمامه للتمحيص والتدقيق حتى يخرج فى النهاية بصورة واقعية — أو قريبة من الواقع — لهذه المرحلة التاريخية الهامة .

وقد قسم الجرموزى كتابه إلى موضوعات ، وسار على طريقة السرد القصصى فى تاريخه ولم يتبع طريقة الحوليات . وكان يقف عن السرد التاريخى أحياناً ليروى بعض التفصيلات الجانبية أو بعض قصص أتباع الإمام وأخبارهم ، أو بعض التوضيحات الخاصة بالولاة العثمانيين وأعمالهم ، أو قصائد الشعر الطويلة ، ثم يعود إلى السرد التاريخى بعبارات تقليدية مثل « فنعود إلى ما كنا عليه » أو « فنعود إلى أخبار الإمام » . وقد زادت هذه الموضوعات الفرعية من أهمية الكتاب ومن عمق مادته التاريخية وقد ساعده على جمع هذه التفصيلات الدقيقة احتكاكه بكبار معاصريه ، وقربه من الناحية الزمنية من الأحداث نفسها ، فقد فرغ من تأليف كتابه — كما ذكر فى نهايته — فى رمضان ١٠٦٣ هـ .

وأخيراً . فيعتبر الجرموزى نموذجاً بارزاً بين مؤرخى السير فى عصره رغم عرضه لتاريخه بوجهة نظر منحازة متعصبة ، وذلك لغزارة مادته التاريخية ، ولعمق نظراته وتحليلاته ، ولدقته فى الإسناد ، ولضبط أحداثه بالتوقيت . وربما يرجع الجزء الأكبر من الفضل فى ذلك إلى حياته العملية واشتغاله فى الوظائف الإدارية والسياسية كما يتضح من بين سطور كتابه .

٣ — يحيى بن الحسين

أما ثالث مؤرخى هذه المجموعة فهو يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم،

ابن محمد صاحب كتاب «أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن»(١)، وصاحب المؤلفات العديدة كما سيتضح فيما بعد. وهذا المؤرخ هو حفيد الإمام القاسم بن محمد مؤسس الدولة القاسمية فى اليمن سالف الذكر، وابن الحسين أحد الدعامتين — إلى جانب أخيه الحسن — اللتين قامت على أكتافهما دعائم الإمامة القاسمية ثم دولة أخيهما الإمام المؤيد الذى اختير إماماً بعد وفاة أبيه القاسم، ولقد كان الحسين من ناحية أخرى أحد العلماء البارزين فى عصره إلى جانب أنه كان رجل حرب وسياسة(٢) ولهذا، فلقد كان يحيي سليل بيت علم وسياسة. وانعكس هذا فى غزارة علمه وقوة شخصيته.

ورغم أهمية يحيي بن الحسين العلمية والسياسية فإنه لم يلق حظه لدى معاصريه من أصحاب التراجم لتشدده العلمى أمام خصومه، وذلك كما أشار الشوكانى عند ترجمته فقال «ولد تقريباً سنة ١٠٣٥ وهو أحد أكابر علماء آل الإمام القاسم، ولم أجد له ترجمة أستفيد منها تاريخ مولده أو موته على التعيين أو شيئاً من أحواله بل أهمل ذكره أهل عصره ومن بعدهم، ولعل سبب ذلك والله أعلم ميله إلى العمل بما فى أمهات الحديث ورده على من خالف النصوص الصحيحة. وقد رأيت له مؤلفاً رد به على رسالة للقاضى أحمد بن سعد الدين يتضمن الرد على أئمة الحديث، وسمى صاحب الترجمة مؤلفه «صوارم اليقين لقطع شكوك القاضى أحمد بن سعد الدين» وهو مؤلف ممتع يدل على طول باع مصنفه، وكذلك رأيت له مصنفاً

---

(١) مخطوطة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٣٤٧ تاريخ، وهى الكتاب الأول ضمن مجموعة.

(٢) انظر ترجمة الحسن بن الإمام القاسم فى كتاب المحبى: خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، ج ٢ ص ١٠٤ — ١٠٥، وقد جاء فيها:

«قيل عنه أنه إمام علوم محمد الذى اعترف أولو التحقيق بتحقيقه وأذعن أرباب التدقيق لتدقيقه، واشتهر فى جميع الأقطار اليمنية بالعلوم السنية، وأخذ عن والده الإمام المنصور القاسم بن محمد ولازمه حتى برع وترعرع .. ولقن كثيراً من شيوخ عصره .. وله التصانيف الشهيرة ..».

أسماه « الإيضاح لما خفى من الإتفاق على تعظيم صحابة المصطفى » ، ووقع بينه وبين أهل عصره قلا قل بسبب تظهره بما تقدم »[١] . ولذلك فتاريخ وفاته موضع اختلاف ، فقد قيل أنه توفى سنة نيف وثمانين وألف . ولكن يلاحظ أن أحد كتبه « وهو كتاب « بهجة الزمن فى حوادث اليمن » ينتهى إلى سنة ١٠٩٩ هـ ١٦٨٧م ولذلك « فلعل وفاته على رأس المائة بعد الألف »[٢].

غير أن هذا لا يقلل من أهمية يحيى بن الحسين العلمية ، فهو يعد من أبرز المؤرخين البحاثة فى الفترة التى ندرسها ، ولا يدل على ذلك كثرة مؤلفاته فحسب ، بل ولأهمية هذه المؤلفات الموضوعية أيضاً . وقد عدد بنفسه عدداً كبيراً من كتبه فى آخر كتابه « الزهر فى أعيان العصر » ، فقد قيل « وسرد منها زيادة على الأربعين ، منها ما هو فى مجلدات »[٣] . وله مؤلفات تاريخية مطولة تتضمن تاريخ اليمن منذ القدم حتى عصر المؤلف ، وأهمها « أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن » سالف الذكر ، وهو يبدأ من الهجرة إلى أحداث سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦ م) ويقع فى جزءين ، وكتاب « بهجة الزمن فى حوادث اليمن » ، وقد ذيل به كتابه الأول ، إذ تمتد أحداثه إلى سنة ١٠٩٩ هـ (١٦٨٧ م) ، وكتاب « العبر فى أخبار من مضى وغبر » وهو كالمقدمة للكتاب ، إذ تناول فى هذا الأخير تاريخ سلاطين حمير . ومن مؤلفاته الأخرى التى تدل على أنه بحاثة مدقق صاحب إطلاع واسع على علوم عصره كتاب « المستجاد فى بيان علماء الاجتهاد » ، و « الزهر فى أعيان العصر » ، و « شرح مجموع زيد بن على » ، و « طبقات الزيدية » ، و « البيان لما خفى فى القرآن » فى التفسير[٤] . وقد دلل هذا المؤرخ على سعة إطلاعه فى عبارة مقتضبة وردت فى نهاية الجزء الثانى من كتابه « أبناء

---

(١) الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٢) ، (٣) نفس المرجع : ص ٣٢٩

(٤) الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ١٧٣ .

الزمن » ، جاء فيها « وهو مجموع من تواريخ عدة تبلغ إلى سبعة وخمسين تاريخاً »[١] .

ويمكن أن نخصص الحديث عن كتاب « أبناء الزمن » — أهم كتب يحيي بن الحسين التاريخية وأطولها — لزيادة التعرف على شخصية هذا المؤرخ ، وللوقوف على منهجه فى التأليف التاريخى . وقد سار يحيى بن الحسين فى هذا الكتاب على طريقة الحوليات المعروفة ، ولذلك اتصفت كتاباته — نتيجة لهذه الطريقة — بأنها كتابات موسعة تفصيلية شملت الموضوعات السياسية إلى جانب النواحى الاجتماعية والاقتصادية وقد ظهر هذا التفصيل بوضوح فى الجزء الثانى من الكتاب الذى تناول فيه العهد العثمانى الأول فى اليمن . وترتب على هذا أن قسمت الأحداث بين السنين والشهور حسب وقوعها ، وتشتت تفصيلات الموضوع الواحد بين صفحات الكتاب ، ومن ناحية أخرى أعطانا المؤرخ صورة واضحة للمجاعات والأوبئة التى كانت تجتاح اليمن فى هذه الفترة . كذلك أحوال الزراعة به وحملات الجراد عليه ، وذلك بالإضافة إلى أنه كان يشير إلى العملات التى كان ضربها الولاة أو الأئمة وقتذاك وموقف الأهالى منها ، وإلى الضرائب وأنواعها ، بل وإلى الكثير من علماء وفقهاء ذلك العصر إلى جانب الأدعياء والمشعوذين الذين كانوا يظهرون فى أنحاء اليمن المختلفة .

غير أن يحى بن الحسين يتميز عن معاصريه من كتاب الحوليات من ناحية ، وعن باقى المؤرخين الزيديين من ناحية أخرى ، بأنه كان علمياً وموضوعياً فى هذا الكتاب إلى حد كبير ، ولقد كان علمياً لأنه حاول فى بعض الأحيان أن يفسر الأحداث ويحللها ولم يقف عند حدود السرد أو النقل عن سابقيه ، وإن كان هذا لا يتعارض مع إشارته إلى الأحداث الخفية

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن (مخطوطة) ص ١٧٢ .

التى كانت تسمع فى صنعاء والتى كانت تحت جده القاسم إلى إعلان إمامته كما ذكر باقى معاصريه الزيديين ، فإن مثل هذا الأمر يرجع إلى طبيعة العصر الذى عاش فيه يحيى بن الحسين وامتلائه بالأساطير والمعتقدات البالية . كذلك كان موضوعياً لأنه لم يغال فى مهاجمته للعثمانيين ، أو فى ميله للزيديين ، فهو لم يتعصب لتاريخ أسرته فينسب الأعمال الخارقة والبطولات إلى أبنائها ، ولم يهمل تاريخ أسرة الإمام شرف الدين لإبراز أهمية أسرته هو كما عمل عيسى بن لطف الله سالف الذكر . بل وعلى عكس ذلك لم يبخل يحيى بن الحسين بذكر الأعمال الحسنة لبعض الولاة العثمانيين . ومثال ذلك ما ذكره عن مراد باشا عند حديثه عن ولايته ، فقال : « ومن عدل مراد باشا المذكور ماروى عنه أنه لما دخل صنعا وجد فيها قبالات (رسوم) كثيرة فى البيع والشرى (الشراء) وعلى المتقبل دراهم للدولة فأمر برفعه وأسقطه من الديوان وأذن للناس فى البيع والشرى من غير حجر لأحد . . وأزال أيضاً ما كان يعتاد من البوش الأولين من نزول العسكر فى بيوت المدينة فإنه كان من قبله ينزلون العسكر فى أسافلها وليس لأهلها إلا العلو . . ولمراد باشا مآثر بمدينة صنعا وذلك المسجد بالقصر الأعلا (الأعلى) الذى عليه القبه ، مغارتته المشهورة بالمرادية ، وغير ذلك فى اليمن الأسفل »[1] ، ولقد تكررت هذه الإشارات فى مواضع كثيرة من كتابه بالنسبة لعدد من الولاة . وتتضح موضوعية يحيى بن الحسين إذا قارنا بينه وبين الجرموزى سالف الذكر رغم معاصرتهما بعضهما لبعض ، ورغم ان الأول كان أحد أبناء الأسرة الحاكمة فى اليمن وقتذاك التى خرج العثمانيون على يديها . وربما ترجع هذه الموضوعية فيما نرى إلى أنه كان ينظر إلى النزاع اليمنى العثمانى من بعيد ، وإلى أنه لم يشارك فى أحداثه أو يعاهد النهاية ، فهو لم يبدأ فى تأليف كتابه سوى فى سنة ١٠٦٥ هـ أى بعد خروج العثمانيين نهائياً من اليمن بعشرين عاما ، كذلك فإذا صح

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن (مخطوطة) ص ١٢٩ .

ما ذكره الشوكانى عن تاريخ ميلاده وإنه كان فى سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م)؛ فمعنى ذلك أنه كان فى العاشرة من عمره فقط عند خروج العثمانيين من اليمن.

وهنك مسألة هامة خاصة بهذا الكتاب ؛ وهى ان النسخة المعروفة المتداولة منه إنما هى نسخة مختصرة وليست الأصل ؛ وذلك كما يتضح من عبارة طويلة كتبت بعد نهاية الكتاب مباشرة جاء فيها « هذا أنباء الزمن فى تاريخ اليمن اختصره اسماعيل بن على ابن المتوكل فأخل فى فرط اختصاره .. وعلى الجملة ان الاختصارات فى التاريخ مخل وفوق كل ذى علم عليم » . ورغم ذلك فقد كان المرحوم فؤاد السيد يؤكد دائماً أن هذه النسخة إنما تطابق الاصل الذى كتبه يحيى بن الحسين ، وذلك لغدم وجود اختلاف بين هذه النسخة والنسخ الأخرى التى كان يعثر عليها أثناء عمله الطويل بين مخطوطات اليمن.

واخيراً ، فلقد كان يحيى بن الحسين من أبرز مؤرخى القرن السابع عشر الميلادى اليمنيين ومن أكثرهم اعتدالا على الإطلاق رغم أنه كان حفيداً للامام القاسم بن محمد ، ورغم أن عصره كان عصر التعصب للأئمة الزيديين ، وعصر انتصار هؤلاء الأئمة وامتلاكهم لمقاليد الأمور فى اليمن .

٤ — مؤلف مجهول :

أما المؤرخ الرابع والأخير بين مجموعة المؤرخين الزيديين فهو مؤرخ مجهول ، وليس بين أيدينا غير مخطوطته وتسمى « تاريخ دولة الترك فى اليمن » أو « تاريخ مختصر »[١] . ولا يتضح فى طول الكتاب اسم المؤلف ، أو تاريخ ميلاده أو وفاته إذ لم يشر المؤلف إلى نفسه بشىء ، وإن اكثر من الإشارة إلى والده الذى أخذ عنه كثيراً من مادة كتابه . ورغم ذلك فيمكن أن نستشف بعض المعلومات عن هذا المؤلف من كتابه . فوالده هو السيد

---

(١) مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢٥٦٥٠ ح ، وهى منقولة عن ميكروفيلم محفوظ بالدار مصور عن الأصل المحفوظ بمكتبه جامع صنعاء الكبير تحت رقم ٢٧ والعنوانان المذكوران ليسا العنوانين الأصليين للكتاب ، فقد وضع العنوان الأول فى دار الكتب بالقاهرة ، ووضع العنوان الثانى فى مكتبة جامع صنعاء الكبير أما العنوان الأصلى فمجهول أيضاً .

المهدى بن الهادى ، ويتضح من لقبه انه كان من الأشراف ، وإنه كان من الزيديين ، وتتضح لنا أيضاً علاقته الوثيقة بأسرة الإمام القاسم ، فقد كان موضع ثقة هذا الإمام ، كما كان رسوله إلى القادة والأمراء من أتباعه ، ويوكل إليه القيام بالمهام الكبيرة . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد حكى المؤرخ نفسه أثناء حديثه عن الإمام المؤيد ابن الإمام القاسم أنه زاره مع والده وهو فى سن الثالثة عشر فلاطفه الإمام وتحدث إليه ، كما أرسل إليه فيما بعد طبيباً لمعالجته عندما علم بمرضه .

ويتضح مما سبق أن هذا المؤرخ المجهول إنما كان شريفاً زيدياً ، وإنه كان وثيق الصلة بأسرة الإمام القاسم ، قريباً منها عقائدياً ووظيفياً . ومن المرجح ان كان هذا كله من اسباب تحيزه الشديد لهذه الأسرة عند تأريخه لها كما يتضح من كتابه . وقد كشف المؤرخ عن هذا التحيز صراحة فى المقدمة عندما تحدث عن الغرض من تأليف الكتاب ، وإن ذلك كان بتكليف أحد أبناء هذه الأسرة دون أن يشير إليه صراحة — وإن كنا نرجح انه الحسن ابن الامام القاسم لأنه أطال الحديث عنه بشكل ملحوظ — فقد قال : « سألنى من لا أحيد عما أمر وحتم ، ولا أترفع عما وضع ورسم ، أن أجمع ما علمته من سيرة مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين القاسم بن محمد بن على ومن قام داعياً إلى الله من أولاده الأئمة الميامين فبادرت إلى امتثال ما أمر ودبرت ما برز فى ذهنى مما حدث من أخبارهم وغيره ، واستندت فيما لم أعاينه إلى رواية والدى السيد العلامة المهدى بن الهادى رحمه الله ، فإنه ممن شهد معظم المواقف والخطوب ودارت عليه رحا تلك الوقائع والحروب . . . وما توفيقى إلا بالله[1] .

ولم يبدأ مؤرخنا تاريخه مباشرة بظهور دعوة الإمام القاسم فى سنة

---

(١) مجهول المؤلف : تاريخ دولة الترك فى اليمن (مخطوطة) ص ١ ب — ٢ أ .

١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) ، بل عاد إلى ما قبل ذلك بعشرين عاماً أى إلى بداية ظهور الإمام الحسن بن على بن داود فى سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) باعتبار أن أحداث هذه الفترة بمثابة المقدمات التى أدت إلى ظهور القاسم . فقال « ولما كانت دعوة الإمام الناصر لدين الله الحسن بن على بن داود وشىء مما جرا (جرى) بعدها كتغريب[١] أولاد المطهر وما فعل الأتراك بأهل اليمن من الفحشاء والمنكر قبل قيام الإمام المنصور بالله كالإرهاص لظهوره ، بدأت بذكر الإمام الحسن بن على بلفظ مختصر ، وأسأل الله الهداية إلى الطيب من القول »[٢] . ولقد ظهر من البداية — كما يتضح من العبارة السابقة — ميل المؤلف إلى التفسير والتحليل وهو ما تبين فى كتابه بشكل واضح مما جعل لتاريخه وجهاً مقبولا رغم تحيزه وتعصبه للأئمة الزيديين .

وقد انتهى المؤرخ فى كتابه إلى أحداث سنة ١٠٥١ هـ (١٦٤١ م) . أى إلى ما قبل وفاة الإمام المؤيد بقليل . إذ توفى هذا الأخير فى رجب سنة ١٠٥٤ هـ (سبتمبر سنة ١٦٤٤ م) . ولا يتضح لنا لماذا توقف المؤلف عند هذا الحد رغم أنه عاش إلى ما بعد ذلك بكثير ، وبالتحديد إلى ما بعد سنة ١١٠٠ هـ كما يتضح من عبارة له عند حديثه عن انتشار الأشراف فى جنوب اليمن فقال: « وفى وقتنا هذه سنة ألف وماية قد صارت بلدان اليمن الأسفل .. »[٣] ثم يستطرد . ويبدو أن التوقف عن الكتابة عند هذه السنة كان بسبب انشغال المؤلف وذلك رغم أنه كان يأمل فى أن يكمل تاريخه ليشمل تاريخ الإمام المتوكل إسماعيل ابن الإمام القاسم كما جاء فى نهاية الكتاب فقال « وسيأتى

---

(١) أى نفى أولاد المطهر ، وقد تفاهم حسن باشا الوزير هم والإمام الحسن بن على إلى استانبول فبقوا هناك حتى توفوا بها الواحد بعد الآخر ، وذلك للتخلص منهم بإبعادهم عن اليمن ، ولم يقدم على قتلهم بعد القبض عليهم حتى لا يثير ثائرة الأهالى ضده .

(٢) مجهول المؤلف : تاريخ دولة الترك فى اليمن (مخطوطة) ، ص ٢ ب .

(٣) نفس المرجع : ص ٦٥ أ .

مفصلاً ذكر ما جرا بعد موت الإمام المؤيد عليه السلام فى سيرة الإمام المتوكل إن شاء الله(١) ولكننا نرجح أن هذا الكتاب الذى بأيدينا جزء من كتاب كبير مفقود ، أو أنه كتاب من سلسلة كتب للمؤلف تتضمن تاريخ الأئمة القاسميين حتى وفاته التى كانت بعد سنة ١١٠٠هـ (١٦٨٨م) كما ذكرنا من قبل ، وكما جاء فى العبارة التى اقتبسناها من مقدمته حيث قال «ومن قام داعياً إلى الله من أولاده الأئمة الميامين» ، فهذا يؤكد أنه لم يكن ينوى أن يكتب تاريخ الإمام القاسم وابنه المؤيد فقط .

ولقد تبين منهج المؤلف فى كتابه منذ البداية ، فهو يؤرخ من زاوية منحازة ليعرض سيرة الإمام القاسم وأبنائه الذين — من وجهة نظره الخاصة — ثاروا على الترك حتى أخرجوهم من اليمن وذلك لتخليص اليمنيين من أيديهم ومن ظلمهم . وكان هذا الخط الواضح الذى التزمه المؤرخ هو العمود الفقرى لكتابه ، فهو الذى يربط بين الأحداث ، وهو الذى يدعو صاحبه إلى التوقف لتفسير بعض الأحداث وتحليلها وهو الذى يدعوه أيضاً إلى مهاجمة العثمانيين وتحقير أعمالهم وإلى الإشادة دائماً بالأئمة ، وإحاطتهم بصور الأبطال الثائرين . أى كان هذا الخط هو الذى يسوق إلينا المادة التاريخية التى جمعها المؤرخ لتحقيق أغراضه . ولقد تبين هذا بوضوح عندما بدأ الحديث عن ظهور دعوة الإمام القاسم فقال «ولما أسر الإمام الحسن (بن على داود) عليه السلام خلا جو اليمن للأتراك ، فباضوا وجحدوا نعم الله وكفروا وارتكبوا الفواحش إعلانا وشربوا الخمور إدماناً ، وجعلوا للبغايا فى صنعا حارة مستقلة وضربوا عليهم خراجاً وغلة ، واتخذ أهل الأسواق الولدان لترغيب العساكر وزينوهم بأنواع الجواهر .. واشتدت وطأة الأتراك على أهل اليمن ، وأروهم مالم يعرفوه من المصادرات وأنواع العبث والتعذيب وضرب السياط وسلخ جلد الإنسان وهو حى

---

(١) مجهول المؤلف : تاريخ دولة الترك فى اليمن ، ص ٦٩ أ .

وتركيب الخوازيق ، واندرس الدين وتفاقم الأمر على المسلمين ولم يكد يوجد آمر بمعروف يتبع ولا ناه عن منكر يستمع ، وايسوا من كل قايم ، ولم يبق لهم غير الله من راحم حتى أنقذهم الله بالدعوة المنصورية القاسمية والنهضة العلوية الهاشمية[١] وتقودنا العبارة الأخيرة إلى إبراز حقيقة هامة عند هذا المؤرخ وهى ميله الشديد إلى جانب الهاشميين من البيت العلوى بوجه عام . فأفرد لهم الصفحات الطوال فى نهاية كتابه ليعدد مناقبهم وفضائلهم ، وليشيد بمكانتهم فى العالم ، وليذكر سيطرتهم على كثير من الجهات وقتذاك بما فى ذلك اليمن ، حتى قال « وقد استطردنا هذه الطائفة من الكلام وإن كنت أحببته فى هذا المقام لتذكير العاقل وتنبيه الغافل وزجر الجاهل وما الله بغافل عما يفعل الظالمون »[٢] .

وأخيراً ، فلقد كان هذا المؤرخ المجهول نموذجاً لمؤرخى السير الذين يكلفوا من قبل أحد الحكام بكتابة سيرة الأجداد والآباء لتدعيم الحكم القائم وتثبيت أركانه ، غير أن هذا لا يقلل من قيمة الجهد الذى بذله هذا المؤرخ . فقد أعطى الباحث الحديث مادة غزيرة أصيلة لهذه الفترة الهامة من تاريخ اليمن ، كما أبان عن طبيعة الأفكار والعقائد المذهبية والسياسية السائدة وقتذاك .

وهكذا تتضح لنا بعض جوانب شخصيات المؤرخين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين . وذلك تبعاً لما أمكن العثور عليه من المعلومات القليلة . داعين أبناء الجمهورية اليمنية إلى العمل على زيادة التعرف على هؤلاء المؤرخين وعلى غيرهم ممن أسهموا فى التراث اليمنى العريض .

---

(١) مجهول المؤلف : تاريخ دولة الترك فى اليمن (مخطوطة) ص ٥ ا — ٥ ب .
(٢) نفس المرجع : ص ٦٥ ا

المؤلفات

كلفنى أستاذى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عندما كنت أقرأ عليه أصول هذا الكتاب أن أقوم بوضع قائمة فى نهايته تتضمن حصراً لمؤلفات المؤرخين الذين ورد ذكرهم فى متن الكتاب ، حتى تتضح جوانب الجهود العلمية لهؤلاء المؤرخين . وقد أشفقت على نفسى من هذا التكليف رغم أهميته، ورغم إيمانى به ومراودته لى كفكرة قبل أن يصبح أمراً لازماً، فإعداد حصر لمؤلفات المؤرخين فى الفترة التى نعنيها أمر يكتنفه الكثير من المصاعب نظراً لتبعثر التراث اليمنى عموماً ، ولضعف محاولات جمعه وحفظه ، وللظروف التاريخية التى أحاطت به حتى وقتنا هذا . وقد بدت لى هذه الصعوبات كلها أثناء اشتغالى الطويل بتاريخ اليمن ، وطوال إعداد هذا البحث ، غير أننى وجدت أنه من الضرورى بذل ما وسعنى من جهد لحصر هذه المؤلفات فى حدود الإمكانيات المتاحة لى . والمحدودة فى نفس الوقت ، لأضع نواة قائمة — على الأقل — أقوم فيما بعد أو يقوم غيرى — وخاصة من الإخوة اليمنيين — بإكمالها عندما تزداد العناية بالتراث اليمنى .

فقد لمست أثناء إعداد هذا البحث أن أغلب المؤلفات المطلوب حصرها لم يعد لها وجود فعلى فى المكتبات العامة ، إذ فقدت فى أوقات وظروف مختلفة بعد تأليفها ، ولم تصبح سوى عناوين كتب فقط ذكرت فى ثنايا الترجمات ، وفى بطون كتب التراجم ، دون أن تعرف طريقها إلى المكتبات المعروفة فى العالم ، فلم تظهر بين طيات فهارسها ونشراتها المتداولة . وكان مما يعقد الأمر أمامى ، أن الترجمات التى عثرت عليها كانت تقف أحياناً عند حد الإشارة إلى العلوم التى أسهم فيها هؤلاء المؤرخين بنصيب

دون ذكر عناوين المؤلفات نفسها . وبالإضافة إلى هذا ، فإن جل مؤلفات تلك الفترة إن لم يكن كلها ما زالت مخطوطة لم تجد حظها بعد من التعريف والتقديم خاصة فى منطقتنا العربية ، هذا إذا كانت سعيدة الحظ ، وعرفت طريقها إلى المكتبات العامة . وربما يعود بعض السبب فى تجاهلها أو ضياعها إلى صغر حجم أغلبها إلى حد كبير حتى أنها لا تتجاوز بضع صفحات ، إذ كانت تصل إلى حجم « الكراريس والرسائل » على حد تعبير أصحابها ، أو من ترجم لهم . وربما يرجع السبب أيضاً إلى أن أغلبها كان عبارة عن تعليقات وحواشى وليست كتباً مؤلفة أصلية ، فلم تتمكن لذلك من أن تفرض وجودها طويلا ، وتتداولها الأجيال بالقراءة والنسخ ، حتى تصل إلينا ، وذلك كما حدث بالنسبة لبعضها ، التى اتصفت بالأصالة والعمق ، والتى أشرت إليها بين صفحات الكتاب .

غير أن الأمر لم يكن قاتماً تماماً ، وهذا ما شجعنى على وضع القائمة التالية ، فقد قام بعض المؤرخين بالترجمة لأنفسهم ، وذكروا عناوين مؤلفاتهم ، كما وجدت بعض الترجمات فى كتب التراجم المعاصرة والحديثة ، هذا بالإضافة إلى فهارس المكتبات العامة التى تمكنت من الإطلاع عليها . ومن خلال هذا كله حاولت حصر هذه المؤلفات ووضعت ما عثرت عليه تحت اسم مؤلف كل منها ، مع إضافة حرف الطاء بين قوسين (ط) للدلالة على المطبوع منها .

١ - **العيدروس :**

— النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ط) .

— الفتوحات القدوسية فى الخرقة العيدروسية .

— البدر الثمين فى بيان المهم من علم الدين .

— البارى بختم صحيح البخارى .

ـ تعريف الأحياء بفضل لإحياء .

ـ الروض الأريض والفيض المستفيض .

ـ الروض الناضر فى من اسمه عبد القادر من أهل القرنين التاسع والعاشر .

ـ الحدائق الخضرة فى سيرة النبي وأصحابه العشرة .

ـ الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة .

ـ الأنموذج فى مناقب أهل بدر .

ـ غاية القرب فى شرح نهاية الطلب .

ـ قرة العين فى مناقب الولى با حسين .

ـ الزهر الباسم من روض الأستاذ حاتم .

٢ ـ الشلى :

ـ السنا الباهر بتكميل النور السافر عن أخبار القرن العاشر .

ـ نفايس الدرر .

ـ رسالتان فى علم الميقات بلا آلة .

ـ رسالة فى معرفة اتفاق المطالع واختلافها .

ـ رسالة فى المقنطر .

ـ رسالة فى الاصطرلاب .

٣ ـ بو مخرمه :

ـ تاريخ ثغر عدن (ط) .

ـ قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر .

ـــ مشتبه النسبة إلى البلدان .

ـــ شرح صحيح مسلم .

ـــ أسماء رجال مسلم .

٤ ـ **ابن داعر :**

ـــ الفتوحات المرادية فى الجهات اليمنية .

٥ ـ **أحمد بن يوسف فيروز :**

ـــ مطالع النيران فى تاريخ اليمن .

٦ ـ **محمد بن يحيى المطيب :**

ـــ بلوغ المرام فى تاريخ دولة مولانا بهرام .

٧ ـ **الموزعى :**

ـــ الإحسان فى دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان .

٨ ـ **عيسى بن لطف الله :**

ـــ روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح .

ـــ الأنفاس اليمنية فى الدولة المحمدية .

ـــ الموشحات .

ـــ الوسيلة الفائقة .

٩ ـ **الجرموزى :**

ـــ سيرة الإمام القاسم بن محمد (أو الدرة المضية فى السيرة القاسمية) .

ـــ الجوهرة المنيرة .

ـــ النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة .

١٠ ـ يحيى بن الحسين :

ـ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (ط) .

ـ أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن .

ـ صوارم اليقين لقطع شكوك القاضي أحمد بن سعد الدين .

ـ الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى .

ـ بهجة الزمن في حوادث اليمن .

ـ الزهر في أعيان العصر .

ـ العبر في أخبار من مضى وغبر .

ـ المستجاد في بيان علماء الاجتهاد .

ـ شرح مجموع زيد بن علي .

ـ طبقات الزيدية .

ـ البيان لما خفي في القرآن .

١١ ـ مؤلفات مجهولة المؤلف :

ـ التيجان الوافرة الثمن في تاريخ ولاية مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من وليه بعهده بالوصف الحسن .

ـ تاريخ دولة الترك في اليمن (أو تاريخ مختصر) .

المراجـــع

(ا) المخطوطات

١ ـ ابن داعر ، عبد الله بن صلاح الدين بن دواد بن داعر ، المتوفى فى ١٠٠٧ هـ (١٥٩٩/٨ م)

ـ الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية ، جزءان فى ثلاثة مجلدات ، مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢١ ، وهى منقولة عن ميكروفيلم محفوظ بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، وهو مصور عن الأصل المحفوظ بمكتبة راغب باشا باستانبول .

٢ ـ أحمد بن يوسف فيروز ، (—)

ـ مطالع النيران فى تاريخ اليمن ، مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٦٧ تاريخ ، وهى مصورة عن نسخة بنى جامع باستانبول .

٣ ـ بو مخرمة ، أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن على بن أبى مخرمة ، ٨٧٠ — ٩٤٧ هـ (١٤٦٥ — ١٥٤٠ م)

ـ قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٦٧ تاريخ ، وهى مصورة عن نسخة بنى جامع باستانبول .

٤ ـ الجرموزى ، المطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن المنتصر ابو على الشريف الحسن الجرموزى ، ١٠٠٣ — ١٠٧٧ هـ (١٥٩٥ — ١٦٦٧ م)

ـ سيرة الإمام القاسم بن محمد (وتسمى أيضاً : الدرة المضية فى

السيرة القاسمية) مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢٥٦٤٩ وهى منقولة عن ميكروفيلم محفوظ بالدار ، وهو مصور من الأصل المحفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٩ تاريخ .

٥ ـ **الشلى ، جمال الدين أبى علوى محمد بن أبى بكر الشلى اليمنى ، المتوفى فى سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م)**

ـ السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر ، مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٢٠٣٣ تاريخ .

٦ ـ **عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين يحيى ، توفى فى ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م)**

روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٩٠٨٧ ح ، وهى مصورة عن نسخة الدار رقم ١١ تاريخ م ، والمخطوطة هى الكتاب الثالث ضمن مجموعة وتقع فى ثلاثة أجزاء ، والجزء الثالث أكمله ابنه .

٧ ـ **محمد بن يحيى المطيب ، (ـ) ويرجح أنه عاش فى زبيد فى سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م)**

ـ بلوغ المرام فى تاريخ دولة مولانا بهرام ، مخطوطة مصورة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب تحت رقم ٢٢٨٩ تاريخ ، وهى مصورة عن نسخة باريس .

٨ ـ **الموزعى ، القاضى شمس الدين عبد الصمد بن أسماعيل بن عبد الصمد الشهير بالموزعى نائب الشريعة فى مدينة تعز ، (ـ)**

ـ الإحسان فى دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان مخطوطة ،

مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢٢٧٩ — وهى منقولة عن الميكروفيلم المحفوظ بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية والميكروفيلم مصور عن نسخة مكتبة على أميرى باستانبول .

٩ - يحيى بن الحسين ابن الامام القاسم بن محمد ، توفى فى ١١٠٠ هـ (١٦٨٩/٨ م)

— أنباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن ، مخطوطة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٣٤٧ تاريخ ، وهى الكتاب الأول ضمن مجموعة .

١٠ - مجهول المؤلف

— تاريخ دولة الترك فى اليمن ، مخطوطة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢٥٦٥٠ ح ، وهى منقولة عن ميكرو فيلم محفوظ بالدار مصور عن الأصل المحفوظ بمكتبة جامع صنعاء الكبيرة تحت رقم ٢٧ .

١١ - مجهول المؤلف

— التيجان الوافرة الثمن فى تاريخ ولاية مولانا رضوان بقطر اليمن وذكر من وليه بعده بالوصف الحسن ، مخطوطة مصورة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٨ تاريخ ، وهى مصورة عن نسخة باريس .

(ب) الكتب التركية

١٢ - عاطف باشا ، (—)

— يمن تاريخى ، إستانبول ، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨) .

(ج) الكتب العربية

١٣ ـ د . أحمد فخرى : «دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مصر والعراق ـ سوريا ، اليمن ، إيران» ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٥٨ .

١٤ ـ بومخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن أحمد بن أبى مخرمة

ـ تاريخ ثغر عدن ، جزاءان ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٣٦ .

١٥ ـ روزنتال ، فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ، مراجعة محمد توفيق حسين ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ .

١٦ ـ الزركلى ، خير الدين : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، عشرة أجزاء .

١٧ ـ د . السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ، ١٩٠٤ — ١٩٤٨ ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ .

١٨ ـ العيدروس : النور المسافر عن أخبار القرن العاشر ، بغداد ، المكتبة العربية ، ١٩٣٤ .

١٩ ـ كحاله ، عمر رضا : معجم المؤلفين : تراجم مصنفى الكتب العربية ، دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٨ هـ — ١٩٦١ م .

٢٠ ـ المحبى ، محمد ، بن أبى بكر بن علوى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، القاهرة المطبعة المصرية الوهبية ، ١٢٨٤ هـ .

٢١ د . محمد أنيس : مدرســـة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٢٢ ـ د . محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر

الميلادى — التاسع الهجرى)، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤ .

٢٣ ـ هرنشو ، ف . ج . : علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ .

(د) الكتب الأفرنجية

24 — Lybyer, A.H. : The Government of the Ottoman Empire in the time of Suleiman the magnificent, London, Henry Frowde, 1913.

25 — The Portuguese of the South Arabian Coast; Hadrami Chronicles with Yemeni and European Account of Dutch Pirates of Mocla in 17th Century, Oxford, Clarendon Press, 1963.

فهرس